عبلة قدوار

منشورة

أعتراف موجة

رواية

نوع العمل: رواية

أسم العمل: اعتراف موجة

أسم المؤلف: عبلة قدوار

تصميم الغلاف: مروان محمد

اللوحة الفنية: الفنان التشكيلى/ محمد عبده

الناشر: حروف منثورة للنشر الإليكترونى

مؤسسة غير ربحية

الطبعة: الأولى يونيو ٢٠١٤

للمراسلة بأعمالكم على الإيميل التالى:

Herufmansoura٢٠١١@gmail.com

و تفضلوا بزيارة موقعنا حروف منثورة على الرابط التالى:

http://herufmansoura.weebly.com

obeikan.com

اعتراف موجة

٢٠١١ ـ٢٠١٣

الداء الذي يلتهم فتوة الوطن

عبلة قدوار

obeikan.com

الإهداء

إلى لزهر شاب التقيته وهو لم يتجاوز العشرين... قلة الحال لطيبة قلبه وصفاء روحه دفعته أن يضع حدا لمبدأ الإنتماء لأهله وقرر الإلتحاق بسلك الدرك الوطني ليحقق شيئا من أحلامه فحرق بذلك دربا ظن أهله أنهم رسموه له ... لكنه على الأقل ظمن حياة نفسه لأهله وليس كأصحاب القارب ... فأتمنى أن لا تموت روحه وأن لا تداس أحاسيسه لأنه عينة فقط من شباب الوطن .

obeikan.com

أطلت شمس يوم جديد لتلقي بشظايا ثوبها الذهبي وتغري الإنسانية بما تمدهم من النفيس الذي أعطى سيمفونية رائعة للكون حين انعكس بريقه عبر قطرات الندى على الأوراق والأزهار بل حتى على قطع الزجاج المحطم الذي ربما تمكن من أن يشق طريقه في عالم فوضى الجمال , ولتزيد لعبة الإغراء لديها بكرمها المتعال استوطنت حبات الرمل عبر الشواطئ لتواري ما أقدم عليه جنح الليلة الماضية حين احتوى جريمة وقعت بالبحر, جريمة دفعت بموجة أن تركن لجانب الشاطئ فجر هذا اليوم وتلاقي الصياد صقر , ثم تغادر للترك هذا الهدوء الذي سبقته العاصفة.

كان الهدوء يعم المكان وبالكاد تسمع الخطوات والأيادي التي كانت في غاية التأهب لاستقبال يوم جديد لتتسرب كلمات التوكل على الله لأجل صيد وفير ليقطع هذا السكون دون تمهيد.

صقر : صباح الخير يا إخوتي ـ متأسف لإخباركم أن اليوم إجازة لكل القوارب فليس هناك صيد حتى مع منتصف النهار .

ـ لكن لما يا صقر ؟ ـ الأحوال الجوية أمس أكدت أن الإبحار ممكن اليوم رغم اضطرابه ليلا فما الجديد إذا ؟.

صقر : في الجانب الأخر من البحر لا يوجد إلا الموت, ولم تصطد القوارب إلا جثث منتفخة ومتحللة لبشريين , وبقايا القوارب التي غيرت مسارها لطمع الإنسان , ليس هناك ما أقول سوى أن تذهبوا لأهاليكم وتستغلوا هذا اليوم رفقتهم ,فنحن لا ندرى ماذا سيأخذ البحر بعد , وكم ستحرق فيه أوراق لأناس قرروا محوا الماضي من سجلهم لأنهم سينتقلون في الجهة الأخرى إلى جنة الأمنيات" الفردوس المفقود. "

ذهب الجميع بعد أن وعدهم صقر بأن يعوض لهم هذا اليوم , أما صقر لن يذهب لأنه كاتم أسرار تلك المنطقة فهو ابنها منذ أكثر من خمسين عاما , طويل القامة عريض الكتفين , أسمر البشرة صاحب عينين حادتين تربك الناظر لهما , وتلهف عاشق الأسرار في الغوص فيهما , محافظ على ترتيب خصلات شعره السوداء رغم تجمع الشيب عند ناظريه وكذا لحيته التي أجاد الحلاق رسم تفاصيلها لتحافظ على نظارته , وأول سر يكشفه عاشق الأسرار هو أن صقر كتلة من الأحزان وانكسارات الفؤاد رسمت على كتفيه انحناءة منكسرة ما من قوة ستعدلها , فقد انفصل عن زوجته منذ أكثر من ثلاثين سنة , حين سقط ابنه أيوب بعمق البحر وهو ابن الست سنوات , وذلك عندما تسلل إلى القارب فضولا منه لكشف عالم والده , صقر لم ينتبه له يومها إلا عندما خرج من مخبأه متوجها إلى حافة القارب وملقيا بنظره إلى الأمواج ولذهوله أخذ يصرخ ملوحة الماء والفرحة تغمره لأنه تمكن من مداعبة تلك القطرات من الماء التي كانت تطير في الهواء نتيجة لحركة القارب ونسيم الرياح , كان صقر منهمكا رفقة الصيادين في تعديل شبكات الصيد ورميها بالبحر ,وحين صرخ أيوب لم يلق صقر له بالا لأنه لم يكن يدري أنه يحاكي واقعه اللحظة , إذ لا يمكن أن يتواجد أيوب بالقارب وقد تركه رفقة أمه لأنها اللحظة تعد له ملابس الختان , إلا بعد أن وجد الجميع قد توقفوا عن العمل موجهين بصرهم إلى حيث يقف أيوب وهو على وشك السقوط بالبحر استدار ببطء ليوجه بصرهم حيث وجهت الأبصار ليجد ابنه يحاول أن يرتفع أكثر ليتمتع بالبحر.

صقر بصرخة ارتعد لها الكون لكن أيوب لم يصغ لها : أيوووووب ابني توقف ـ لا تقم بأي حركة أرجوك يا ولدي.

نظر أيوب لوالده وابتسم ابتسامة التمرد والشقاوة التي يرسلها كل الأطفال للكبار معلنين التمرد وبحركة بريئة جدا مثل تلك الرعشة التي يصدرها الطفل الرضيع وهو نائم بطريقة غير إرادية يقال عنها رعشة الملائكة , وبلا مقدمات أخرى أصبح أيوب في عرض البحر , فيقفز صقر وليصل إلى تلك القفزة كانت هناك مسافة طويلة جدا تعد بالدهور, لكن الحقيقة هي أنها مجرد حركات لثوان لكنها كانت تمثل وجع أب يسارع لإنقاذ ابنه مقاوما كل الأمواج ليضع ابنه بقارب النجدة ليتم رفعه إلى أعلى القارب لكن ما من أحد يعرف ما يفعله فهو لم يختنق وفقد أنفاسه ليسعفوه بالطرق التي تعلموها , انظم لهم صقر وهو يصرخ ويبك حامدا الله تارة وتارة يدعوه أن يحفظ أيوب ...فاقدا السيطرة على حركاته أيجلس على ركبتيه وهو يلف ابنه بالبطانية أم يتربع أم ماذا .... لكن عاطفة الأب سرعان ما أوح له أن يتربع ويلف ابنه بين أحضانه وبالتالي يحميه من الريح والبرد , فليس هناك ما أدفأ له في تلك اللحظة سوى صدر والده , وهنا تتحقق مقولة أن من الحب ما قتل فصقر في لحظات الهلع تلك لم ينتبه أن أيوب يختنق ومناجاته له لم تكن من البرد بل لأنه مصاب بضيق التنفس وهو يردد : أبي برد أبي هواء وصقر يردد كلمات الأب المذهول : أنا هنا لجانبك يا بابا ـ سيزول البرد وتجف ملابسك ـأنا هنا يا ولدي.

لحظات وعاد صقر يتحسس ابنه لأنه بات هادئا لا يتكلم ولا يتحرك ولا حتى يرتعش, في باله أن أيوب قد ارتاح , لكن الحقيقة أن هذا الظن ماهر إلا غباوة أب , فقلب أيوب لا ينبض وجلدته بيضاء لا دم فيها , الهالات السوداء توضحت على عينيه نظر صقر لرفاقه وسأل : ماذا يعني ذلك أخبروني ؟

اقترب أحدهم وتحسس نبض أيوب فلا نبض ,تأكد من تنفسه فلا تنفس مما يعني أن أيوب قد مات.

صرخ صقر وهو يضم ابنه إليه :لا لا لا يمكن ـ يا أبي لا تذهب غدا حفل ختانك ـ غدا سترسم جدتك دوائر الحناء بكفيك, غدا ختانك ـ ولدي سيأتي الأحبة ويملئون قبعتك بالنقود فتشتري الدراجة والمثلجات لأصدقائك ـ لماذا تذهب لن تجد من يفرح لخاتنك هناك مثل والديك ـ لا يا أبي ماذا سأقول لأمك ؟ ـ بالله عليك ماذا أقول لها.

بعد أن وصل الخبر لزوجته صدمت كثيرا واعتبرته مسئولا عن وفاة ولدها وليس البحر ,فطلقها صقر بعد أن طلبت ذلك وذهبت لأهلها ,بينما رفض صقر الرحيل من المكان الذي رحلت منه روح أيوب واعتبره جزءا منه فيحاكيه حبا في أيوب.

حين انصرف الجميع اقترب صقر من قاربه وأخذ يرتب أشياءه وفي هذه اللحظة أحس بارتفاع شيء خلفه من جهة البحر ,استدار بهدوء ليرى أنها موجة غاضبة ارتفعت رغم أن الجو هادئ , قطع أنفاسه مغمضا عينيه بهدوء مرددا : سبحان الله سبحان الله سبحان الله . تقطع دهشته بصوت يقول :صقر خذ هذا الغريق وحاول إنقاذه أسرع إنه يحتضر.

يفتح صقر عينيه فيبصر إلى البحر فيلمح تلك الموجة التي كانت ثائرة منذ لحظات بدأت قواها تخور ليجدها فجأة تنحني متكئة على جانب من الشاطئ .

ردد راثيا حالها : قدرتك يا رب موجة تحتضر أ م أنها تتجشأ لكثرة ما ابتلعت أم أنها متعبة فانحنت لتنام.

أجابته الموجة بكلمات ثقيلة مخارجها : أصدقك القول أنني أتجشأ مرارة الدهور التي كنت أعيشها لأطمر معالم الحياة بأنواعها في أعماق البحر ,اسمع يا صقر لا وقت لدي , لأنني سأعود لما جبلت عليه وقبل ذلك أريد أن أعقد معك اتفاقية ...

قاطعها صقر- بابتسامة مكابرة- قائلا :باتت الأمواج تعقد الاتفاقيات لا والله هذا شيء جميل .

الموجة : قبل أي كلام يدور بيننا افعل ما قلته منذ قليل لتلك القطة وابنها ألا تراهما لقد عافهما البحر وخذلتني قوتي لضعفهما ولمعجزتهما باعتبارهما إحدى دروس الحياة فلم أقدر على إرسالهما إلى أعماق البحر ليموتا وبينما بادر صقر إلى لفهما بمعطفه مادا بهما إلى داخل القارب.

بدأت الموجة في سرد حكايتهما :صقر لا شك أنك سمعت بالمأساة التي وقعت في البحر والتي ذهب ضحيتها العشرات من أشخاص بين ميت ومسعف ومفقود ...ركبت القطة القارب تاركة وراءها ولدين من أولادها وهي لم تخطط لتركهما وإنما لحقت بابنها حين ركب القارب وهم يحملون البشريين ليلا , لحقت به لتعيده لأنه صغير ظل طريقه لكن قبل أن تتمكن من إيجاده وإنزاله كان القارب قد انطلق في أعماق البحر ولم ينتبه لوجودهما إلا عندما أصبح القارب في منتصف البحر ,أرجوك افعل ماتقدر عليه كي لا تموت القطة وابنها ثم أعدهما إلى

الشاطئ الذي انطلق منه القارب الكارثة ... غريزة الأمومة قوة عظيمة لو أن جميع من يملكونها يجيدون استعمالها لكانت الدنيا بخير.

صقر بعد أن جلس متربعا فوق الرمل تكلم : قبل أن تخبريني ما تودين إخباري إياه سأخبرك عن بداية هذه الماسي التي أطلق عليها مصطلح الحرقة فبدايتها كانت على يد فاتح الأندلس طارق ابن زياد عندما كان يحرق سفنه عندما يصل إلى الضفة الأخرى وعلى هذا المنحى مشى الشباب , فعند نجاتهم من الموت وسط البحر ووصولهم إلى الضفة الأخرى يحرقون هوياتهم أملا في كسب هوية جديدة تكون تأشيرة لدخول الفردوس المفقود.

الموجة :صقر إن اسمي تتداو له الألسن للدلالة على الغدر وهذه هي رسالتي في الحياة ' ورسالتك هي كتم أسرار هذا المحيط وانطلاقا من هذا تكمن الاتفاقية.

صقر : أنا أسمع ياموجة ولن أخذلك رغم أنك غدرت بي وخطفت ابني الصغير من حضن والدته , وكان ذنبه الوحيد أنه عشق تموجك ورغب في لمسه ليكشف عالم والده لكن أسامحك اليوم لأنك أنقذت القطة وابنها ,مع أني رفقة جميع البشر نتمنى أن تتوقف لعبة الغدر لديك ولا تأخذي أرواح الناس وتعيديها كما فعلت اليوم.

الموجة :عذرا يا صقر , ليس لدي الوقت الكافي لأشرح لك , لكن هذه هي رسالتي فلولا غدري الأليم لما وجدت هذه المآسي التي تردع ولو واحدا من البشر فلا يحرق قلب أمه بسعيه لحرق هويته , أتمنى لو أن الله منحني تسريح نهاية الخدمة مثلكم أنتم البشر فحينها أقول لك : إني أحتضر ياصقر وهاك اعترافي بكل جرائمي وقدمها لحاكم الدنيا ثم لك

وصيتي التي ستنشرها عبر مختلف وسائل الاتصال وسأخبرك بها حين أنهي اعترافاتي لك . لذا صقر أريد أن تتحمل زيارتي لمدة عشرة أيام وذلك فجر كل يوم لأقص لك حكاية المهاجرين السريين الذين لم أتوان أبدا في رميهم في أعماق هذا البحر .وأن تعتبر كل قصة أمانة عليك الحفاظ عليها وإيصالها إلى من يقدر على استغلالها لأجل أن تتم السيطرة على الهجرة الغير شرعية .فهل لك القدرة على حمل هذه الأمانة ؟.

صقر : هات ماعندك فاليوم لا عمل عندي وسأصغي إليك .

الموجة : لن أقدر اليوم , سأعود فجر كل يوم ابتدءا من الغد وذلك قبل وصول الصيادين وهذا سر بيننا ـ أما أنت اذهب الآن واستغل الفراغ بزيارة قبر أيوب ذلك الملاك الذي لم أقاوم نقاءه فأردت ابتلاعه لعلي أحض بشيء من ملائكيته.

بعد ذلك ارتفعت الموجة عاليا إلى السماء , ربما رغبة منها أن تخرق الهواء وتلامس السماء وربما لتبين لصقر منبع قوتها الذي هو الغرور واللامبالاة , لكنها سرعان ماتغير براهينها وتثبت أنها مجرد همسة بحر انفعل مثل ذلك الانفعال الذي عرف به الرجل العربي , انفعال يجعله يدمر كل شيئ في لحظة وسرعان ما يهدأ فيصبح مثل اليمامة الهادئة الرقيقة , انفعال مثل انفعال الزير سالم ذلك الرجل العربي الذي سكر وتعربد ,ولم يأمل أهله فيه خيرا , إلا حين غدر بأخيه كليب وقتل وقبل أن يموت كتب له بدمائه نداءه بأن لا يترك قاتله على قيد الحياة . انفجر الزير سالم ودمر قبيلة قاتل أخيه وحين فعل مافعل خارت قواه ولم يعد ذلك السكير العربيد ولا القاتل المدمر . ماعاد سوى جسدا هادئا

هالت عليه مصائب الدنيا فحنت ظهره وكسرت فؤاده فاستسلم لها وذهب لينام مثل الطفل الرضيع في قلب الصحراء . الزير سالم غدر به وقتل من قبل العبدين الذين رافقاه إلى الصحراء , لكن البحر لا غادر له لأنه منبع لكل الانفعالات ,فبدأت الموجة تذوب بانسياب رائع وسط موطنها البحر , لتشرق الشمس بعدها وتشكل رفقة البحر الهادئ لوحة إلهية مهما أبدع الفنانون في رسمها حتما سينسون تفصيلا من تفصيلها .

تنهد صقر مع ابتسامة ماكرة ووقف تاركا أثار جلسته بالرمل , حتى أنه لم يبال بكميات الرمل التي التصقت بملابسه اقترب من القارب ومد يده وبصره ليتفقد القطة وابنها وحين تأكد من جفافهما وعودة الحركة الطبيعية لهما كلمهما قائلا : حمدا لله أيتها القطة , تعال وابنك سأأخذكما لمكانكما . أصدرت القطة مواء يصاحبه حركة خفيفة منها وكأنها تقول لصقر :وهل تعرف مكان أولادي لتأخذني لهم ؟.

صقر : طبعا أعرفه فقد وجهتني إليه الموجة التي أحضرتكما.

حملهما وهما بمعطفه وسار بهما إلى الشاطئ الذي وجهته إليه الموجة ومسيرة نصف ساعة وصل إلى الشاطئ, وفي لحظة تسمر صقر في مكانه وكأنه تمثال زينت به حافة الشاطئ لا حركة فيه سوى لنبضات قلبه وحركات القطة وابنها بمعطفه , لم ينتبه حتى قفزت القطة إلى الأرض وأخذت تموء ليأذن صقر لابنها بالنزول وبهذا عاد صقر إلى الحركة واضعا القط الصغير لجانب أمه التي سرعان ما ركضت متجهة إلى ركن جدار منهار , وحين مد صقر بصره إليه لمح ولديها

الصغيرين يتحركان حركات غير منتظمة إلى أن وصلت لهما والدتهما أخذة في تحسس وجودهما وسلامتهما بفمها.

حمد صقر ربه على كل النعم ثم عدل انحناءته وأخذ يسير إلى الأمام لكنه سرعان ما توقف لوجود شريط الشرطة الذي يوضع في أماكن وقوع الجريمة , لكن ماهي الجريمة ؟.إنها الفاجعة التي منعت الصيادين اليوم , إنها الجريمة التي جعلت الموجة تتكلم وصقر.

الشرطة , الحماية المدنية , أفراد من الشعب , منهم من يمد يد العون ومنهم من يتفرج مذهولا من الفاجعة التي كانوا يسمعون عنها والآن يشاهدونها , فكر صقر في الانضمام لهم لكنه سرعان ما تراجع لأنه تذكر زيارة قبر أيوب وقبل ذلك عليه أن يقوم ببعض الأمور كزيارته لأقاربه والذهاب للمسجد لصلاة الجمعة والتصديق والتزكية لروح أيوب وهكذا انقضى اليوم لتغرب الشمس ثم مضى الليل بكامله وقرب موعد أذان الفجر استيقظ صقر وتوضأ ليؤدي صلاة الفجر وبعدها تناول فطوره ليتجه بعدها إلى الشاطئ متأملا في يوم جديد طيب ومبارك له ولكل الصيادين , حين وصل لقاربه أخذ يتفقده وفي تلك الأثناء خرجت الموجة من البحر كالمرة السابقة استدار لها صقر دون خوف أو تردد منتظرا هدوءها لتتكأ على بداية الشاطئ.

صقر : صباح طيب وجميل ياموجة

الموجة :صباحك أطيب مليء بالرزق والحسنات

صقر : أتدرين أني ومنذ لقاء الأمس وأنا أفكر بهدوء في داخلي طبعا في هذه الظاهرة وهذه المآسي فيحز في قلبي هذا الحال كثيرا لأنه في الماضي كان الإنسان منا يرضى بما أعطاه الله فيسعد بفراش الحصير

وزاد من الماء وشيء من الخبز والتمر وفي نفسه أن القناعة كنز لا يفنى أمر لا نقاش فيه وإن أراد التغيير والوصول إلى أماكن عالية في مجتمعه يطور ما منحه الله من نعم وقدرات وليس هناك دليل على كلامي إلا حياة الإنسان البدائية حين اعتزم التغيير وغير من نفسه جاعلا إياها أدمية وكذا هؤلاء الناس الذين قست عليهم الدنيا فرمتهم بالصحراء فتحدوا كل ذلك فصنعوا لأنفسهم المكانة والتاريخ.

أما شباب اليوم لا أدري ماحل بهم فقدوا ثقتهم بالمجتمع واقتنعوا أن الفساد قد عمه فلامكان لهم إلا في الضفة الأخرى لكن الحقيقة غير ذلك فالثقة المفقودة هي في أنفسهم وليس في المجتمع.

قاطعته الموجة : لكن ماهو السبب الذي جعل شريان المجتمع يرمي نفسه في فوهة الموت.

أجابها صقر :السبب هو ذلك التوجه الذي توجهنا له نحن المجتمع حين كدسنا بأفكارنا وأفكار أولادنا تعظيم عظماء الضفة الأخرى والاستهانة الدائمة بأمجاد هذا المجتمع .

الموجة : ما قصدك بهذا ؟

صقر:

في مرة من المرات تبادلت أطراف الحديث مع أستاذ للعربية على حال أبناءنا , في خضم النقاش أخبرني أنه أعطى فرضا للتلاميذ , بأن يكتبوا عن أحد الأبطال محددا لهم بأن يكتبوا عن انجازاته وان يتحدثوا في الأخير عن شخصية محبوبة عندهم ويتمنون الوصول إليها ,وكانت

غالب الإجابات عن أبطال تلك الضفة وأنهم يحبون شخصيات أجنبية وبهذا كتبنا لهم تاريخهم وعظمتهم في أنفس أولادنا.

الموجة : أنت محق يا صقر , لدرجة أنهم احتقروا أنفسهم لأن هؤلاء العظماء بأفكارهم ولدوا لهم حاسة الضعف فيهم , وأن الكمال والسعادة عندهم هناك في الضفة الأخرى.

صقر :وبهذا كل ما اختنق أحد أولادنا من هذه الحياة يسعى إلى الفرار على اعتبار أنه الملاذ الوحيد , وهنا فتح الباب لأعداء الوطن وإن كانوا من جلدتنا ليشعلوا فتيل هذه المأساة التي أصبحت كابوسا للأمهات , ووهما فضيعا لشباب المجتمع , فتربح فئة صغيرة وتحقق في حياتها جنة الضفة الأخرى والثمن مبالغ المال الطائلة التي أخذوها من هؤلاء السذج الأملين في حياة طيبة وعشرات الجثث التي يرميها البحر كل مرة على شواطئه , حتى وإن نجا أفراد ووصلوا إلى هناك هل سيجدون الفردوس المفقود هناك ,الذي لأجله تخلوا على خبز والدتهم ومنزل والدهم وأحلام رفاقهم وأصدقائهم.

الموجة : حسن ياصقر لم يبق من الوقت الكثير ـ مشيرة له بالجلوس ـ جلس صقر مجوها بصره وكامل تفكيره إليها لتبدأ قصتها.

اتجاه الحب

الموجة : صقر بحكم تجربتك في الحياة ماذا يعني لك الحب ؟

صقر : الحب إحساس ينمو في القلب وتختلف طرق ووسائل إنشاء التربة له , وكذلك ثماره وهو شريعة إنسانية تجمع بين البشر ,لكن إن كنت تقصدين بسؤالك الحب الذي يجمع بين حبيبين فهو لا يختلف كثيرا

عما ذكرت لكن الخطير فيه هو ذلك الحب الذي يأتي دون سابق إنذار لا المكان ولا الزمان مناسبين لضمان عيشه حتى إن هطلت عليه دموع الآمال والأحزان كلها.

الموجة : لو لم أكن أعرفك لقلت أنك شاعر محنظل.

ابتسم صقر وقال :كما قلت لك الحب شريعة إنسانية ولأن البحر هو ملجأ كتم الأسرار كان يأتي لهذا الشاطئ ولا يزال عاشقون لو سمعت صرختهم بحق لبطلت إشاعة أن الحب قد مات.

الموجة عبارة " الزمان والمكان غير مناسبين لضمان عيشه" الأقرب لما سأحكيه اليوم فاسمع إذا :

كان نسيم الهواء هادئا يبعث الهدوء والطمأنينة في ركاب ذلك القارب , الذين مضى عن مغادرتهم الشاطئ خمس ساعات تقريبا , ركاب بلغ عددهم العشرات من الركاب مما يجعل ذلك منظر القارب يشبه إلى حد بعيد علبة عيدان الثقاب حين تنظر لها في جهة الرؤوس متفرعين في العلبة , الكل لا يعرف الجزء فيه , وإن جمعتهم رغبة واحدة وهي الخلاص من ضياعهم حسب اعتقادهم إلا أن لكل واحد منهم ألام من الماضي وأوهام يصنعها لأجل المستقبل , أما الحاضر فما هو إلا ذلك الصراع بين رغبة الوصول إلى الضفة الأخرى ويقين الانتحار المبرر عرض البحر . وفي ظل هذا الصراع يسمع صوت قطة تموء مستنجدة وساخطة على هذا الجمع الرهيب من البشر , لتقترب طالبة النجدة والدفء لجانب الفتاة التي كانت تحاول بحركتها الإنفراد بمساحة واسعة بعيدة قليلا عن ذلك الجمع . وعندما انتبهت لوجود القطة لم تتردد في حملها وابنها وضمهما لها والقطة لا تتوقف على المواء

غاضبة ساخطة ,تصرفها هذا جعل الجميع ينتبه لوجود الجميع ,أما تلك الشابة فقد اغرورقت عيناها دموعا مكابرة مليئة بالخوف والحنين والندم والنضال والألم , كانت عيونا عربية أصيلة لم تنس نسيمه الشابة يومها أن تستعين بالإثمد العربي في رسمهما الذي يظهر براءتهما وطهارة بصيرتها وسذاجة قرارها .

تتكلم نسيمه إلى الجميع مخاطبة القطة فقط :

اسمعي هذه الحكاية ياقطة عن طفلة صغيرة كانت تنشد الكلمات التي كانت تنبع من داخلها, ذات لحن صادر من شقاوتها ورغبتها في أن لا تكون عادية ,كانت تفعل ذلك مرارا في طريق العودة من المدرسة إلى منزلها لتخرج ذات مرة عن المعتاد وتضع لحنا لدعاء خطت كلماته على قطرات المطر بدموعها التي لم تتردد في ذرفها , ليس حزنا وإنما إعلانا منها أنها بدأت تشعر أنها صبية لم تعد طفلة صغيرة دعاء كان في غاية من التركيب البسيط " يارب اجعل حياتي مميزة وان كانت بالبكاء الدائم " ـ ربما أن ذلك الدعاء لم يكن لها يوما وإنما القدر هو الذي نطق بلسانها ـ فتمضي بعد ذلك بضع أيام وربما شهور تنتظر دون اعتراف أو استعجال استجابة الدعاء.

وفي يوم من أيام الربيع كان الله سبحانه وتعالى قد حدد فيه من قبل يوما للتغيير في حياة نسيمه, وهي في عمر العشر سنوات ,وذلك عندما كانت عائدة من المدرسة بخطواتها المتباهية بجمالها وبهائها لأنها الصبية الجميلة التي يحبها معلمها لذكائها وحسن معاملتها لزملائها وحب جيرانها لها غير معروف سببه ,لأن هناك سببين إما لأنها تحبهم , وإما لأنها ابنة رئيس الشرطة بمدينتها وكذلك شغف الصبية بها لأنها صاحبة

الجسد النحيل الأسمر القمحي والشعر الذهبي الذي لطالما أبدعت الوالدة في ظفره جديلتين بالكاد استطاعت لف الشرائط بهما فلم ينحدرا إلا بمحاذاة الأذنين ,وفي كل هذا سرقت من التراث العربي الأصيل عينين عربيتين كتب عنهما في مختلف مجلدات الشعراء . وما إن طرقت باب منزلهم حتى فتحت لها أختها وهي تصرخ مهللة مرددة : بشراك بشراك يانسيمه صديقتك زوليخة هنا لزيارتنا لم تنتظر نسيمه للحظة مهرولة نحو غرفة الضيوف لتجد صديقتها بانتظارها عند باب الغرفة, وأخذتا تتبدلان العناق والأشواق وحين فتحت عيناها وقعتا على صبي بالغرفة , ألقت عليه التحية متباطئة وكأنها كانت تدعوا دقائق الزمن أن تكون كذلك , ولم يبق من تلك اللحظات سوى النظرات المتبادلة بين نسيمه وذلك الصبي , تمضي الساعات من الأنس واللعب في باحة المنزل وأغلب ذلك الوقت كان يمضي فوق شجرة المشمش العتيقة وربيع ـ التي لذي أتى رفقة زوليخة ـ من حين لأخر يتسلق إلى نهاية الشجرة ليقفز بعدها إلى الجدار الذي يفصل بيت نسيمه عن البيت المجاور والمهجور ليس لشيء سوى لينبه نسيمه لوجوده . غادرت زوليخة وربيع أمسية ذلك اليوم بعد أن تعرف أصدقاءها بالحي عليهما وبهذا ووفقا لعادات وتقاليد صبية وصبيات الحي تم إيجاد العريس المناسب لنسيمه.

أوقف سير سرد الحكاية تنهيدة قاسية من نسيمه حنينا , لتلك الأيام لكن حركة القطة جعلتها تعود ـ :فقد كانوا أثناء فترات اللعب يقسمون أنفسهم أزواجا وعائلات في منازل صغيرة مهندسة بأحجار صغيرة على مساحة بالأرض لكنها وببراءتهم تصبح منازل وقصور شهريار والملك كسرى لم ولن يمتلكها أحد وقد كانت عائلات رائعة مليئة بالحب

والاحترام ربما العائلات الحقيقية لا تحقق ما تحققه تلك السر الافتراضية في حق الجار على جاره وطاعة الإبن لأمه وحبها هي له وفصل وظيفة الرجل الذي يذهب للعمل والزوجة التي ترعى بيتها وأولادها , حتى مراسم الزواج كانوا يجيدون التحضير لها فهم حين وجدوا عريسا لنسيمه أخذوا في دعوته للعب معهم ليعرفوه جيدا والتحضير لزفافهما لكن الظروف لم تسمح بحدوث ذلك فقد غادر وأهله المدينة لم يستأ أحد لذلك بل حفظوا ذكراه.

في هذه اللحظة أخذ القط الصغير يموء لأن نسيمه غفلت عنه فنزل إلى الأسفل , فتعيده نسيمه إلى جانب أمه وواصلت :

تخليد ذكراه ليس في ليال السمر أو تسمية أحد الأولاد الافتراضيين اسم ربيع بل كان برسمه ونسيمه بملابس الزفاف في جدار من جدران البيوت المهجورة التي لطالما اجتمعت العائلات بها وهي جدران كانت في الأوقات العادية ميدان٦ لإبراز المواهب في شتى المجالات.

والأيام التي مضت بعد ذلك مضت هادئة عادية وفيها كانت نسيمه تسرق بعض اللحظات من حياتها وتقف أمام ذلك الجدار رغبة في العودة إلى الأيام الخوالي لأن السنون التي تمضي لا تحمل في طياتها غير الكثير من الآلام والقليل القليل من الفرح جعلت من حياة نسيمه منبرا للحظات فرقت بينها وبين كل أصدقائها فبقيت تعيش لتلك الذكريات إلى أن انتقلت إلى الثانوية , عندها بدأت تبحث عن نفسها وأحلامها سعيا لتحقيقها وفي العام الذي كانت تستعد فيه لأجل النجاح والانتقال إلى الجامعة وفي غمضة عين نست ذكراه لأن ذلك الأحمق لم يأتي لزيارتها منذ تلك الفترة, حتى أنه يستعد للزواج من إحدى بنات جيرانها . وحين كانت تسأل نسيمه إن كان هناك شخص بحياتها تنكر

ذلك وتنفي تفكيرها في الحب مرة أخرى لأنها ليست بحاجة لذلك ربما لخوفها من آفة الفقدان أو لقناعتها أن الوقت لم يحن لذلك وأن عليها أن تحقق حلم والدتها التي توفيت منذ ثلاثة سنوات وهي تنجب أختها الصغيرة في أن تكون طبيبة.

تنتقل نسيمه إلى الجامعة بمعدل أهلها لدخول كلية الطب,وقد عكفت على الدراسة بجد وفي هذه الفترة كان هناك مشروع زواج خطط له والدها وصديقه وقد وافقت نسيمه ولم تتردد في ذلك لأن الشاب كامل الصفات ولا يعيبه شيء, وقبل أن تحدث الخطبة توفي والدها في حادث سير ففقدت بذلك أهم ركيزة لها بالحياة, ولم تمضي فترة حتى أصر ذلك الشاب على الزواج فانفصلت عنه رغم أنه تعهد لها بأنه لن يعرقل مشوارها الدراسي, موفرا لها كل الذي قد تحتاجه لكن ولأسباب مجهولة لم تكن جاهزة لذلك .

لم يعد هناك أي رجل بحياتها وبدل أن تكمل دراسة الطب اكتفت بمدة تؤهلها لممارسة التمريض وقد كان شغلها الشاغل أن تكون وفية ومخلصة لعملها.

التمريض عالم أخر , استقبلها بكل حب لنشاطها وطيبتها, وبه كان ينتظرها الحب الذي لا المكان ولا الزمان مناسبين لحدوثه , لأنه وبعد مضي خمس سنوات أصبحت مرشحة لتكون مسئولة سلك التمريض ,رغم صغر سنها إلا أن أفكارها وطموحها أهلاها لذلك المنصب, وبهذا أصبحت محل أنظار الجميع, سواء لكونها القدوة الحسنة أو الصديقة المحبة أو المرأة التي يطمح كل رجل أن يكمل وإياها نصف دينه ,أو هؤلاء الذين يحسدونها على المراتب التي تتنقل بينها بكل مصداقية وهو

المكان الذي سعوا إليه بكل الطرق ,وفي غمرة كل هذا وبالتحديد حين كانت تركض بساحة المستشفى في استراحة الغداء متجهة نحو صديقتها زينب لأنها تحمل لها أخبار طيبة عن محبوبها أحمد المحب الذي ناضل لأجل الفوز بقلبها وبكيانها كله فباتت خطيبته منذ سنتين , تتوقف فجأة بارتباك لخروج مجموعة من الأطباء والمسئولين من المستشفى وبخجلها المرتبك وابتسامتها المراوغة تعتذر تاركة لهم الطريق .لكن الجمع توقف ليكلمها أحد الأطباء وهو الطبيب محمد المشرف على مصحة التوليد قائلا : ألن تكبري يانسيمة ـ يا ابنة أبيك ؟

نسيمه :آسفة حقا أتصرف هكذا عندما يضيق قلبي من بشرى الخير لأزفها للناس .

في هذه اللحظة يتجه بصر نسيمه إلى رجل بينهم هي تعرف أنه ليس طبيبا على الأقل ليس بالمستشفى , كانت تراه من قبل يأتي في زيارات نادرة لكن هذه المرة وفي هذه اللحظة شيئ أخر , إن الذي يقف أمامها رجل كامل الصفات في نظرها , معتدل الهندام ... وما قطع صلتها بما حولها هو إجابته عن سؤال أحد الأطباء حين أشار نحوها وسأل : أتعرفها خالد ؟.

أجابه " : بشرى الخير لأزفها للناس" تعريف صادق لها .

وفي الآن نفسه كان قد غاص في أعماق عيني نسيمه دون أي تردد , وهي بالمثل فاصلة نفسها عما حولها لأنها لم تر قبل عيونا لا تجيد إخفاء ما بدخل حاملهما, عيون جمعت كل المشاعر والانفعالات المتصادمة, الألم, القوة الضعف المكر الخيانة الخداع الحب الوفاء الحنان الشوق الحاجة الانكسار التوازن الهدوء من يكون هذا الرجل

ليس بالمستشفى بل بحياة نسيمه ؟هذا السؤال الذي أعادها لواقعها .

استأذنت الجميع و ذهبت وكل تلك الجولة في عيون بعضهما لم تكن إلا لثوان ولدت قدرا لن يعترف به أحد ولن يفهمه ,لذلك لم ينتبه أحد لهما انصرفت دون أن تلتفت وحين و صلت لصدقتها قدمت لها الهاتف لتعيد بعدها النظر إلى الخلف و أخذت تؤكد خطواتها المنظمة في عدها لمسافة الطريق , لتتأكد من أنه الواقع في حين أنه هوالأخر لم يشح نظره عليها دون أي تردد في ذلك للحظة .

لم تهتم نسيمه لذلك كثيرا لأنها تتحاشى هذه التحولات في حياتها , ولكن الأيام كانت تخفي لها المحتم وهو السير في طريق لا نهاية لها ولا إمكانية للتراجع فيها .

مضت الأيام وتم تعيين نسيمه مسؤولة التمريض وقد علمت أن خالد طبيب جراح بالمستشفى الكبير بالعاصمة, و يأتي إلى المستشفى حيث تعمل لأجل عمليات جراحية صعبة , كان يأتي و يعالج الناس ويمنح الحالة النادرة فرصة للعيش بعد أن فقد الأمل , وكانت نسيمه عند لقائه تمد نظرها إليه وتجعل ساكنة تتأمله بكل استسلام وروحها ترسم فضاء نقيا مليئا بالسكون والشفافية تسأل نفسها عن سر تلك النظرات التي يخطفها بها وهناك من الفتيات حوله كثيرات فلما نسيمه ؟هل ذلك يعني أن الله رسم لهما دربا عليهما أن يسيرا فيه معا ,ولآجل ماذا ألأنها أفصحت عن نظرتها للحياة والناس .

والحب المعلق بين السماء والأرض لم يقرر بعد أن ينزل للأرض وتزهر أزهار الياسمين خاصته في درب نسيمه إلي أن نبهتها صديقتها

زينب لاهتمامه بها , وأن نظراته لها لا تعني احتراما أو تقديرا لأفكارها بل أذهلته فقرر الحصول عليها . هنا فقط أخذت نسيمه تسقي أزهار دربها بأعظم المشاعر الإنسانية شعور افتقدته نسيمه في حياتها بعد أن فقده العالم بأسره , إنه الحب الذي جعل نظرتها للحياة تتغير لأنها قررت دخول رجل إلى حياتها بعد أن فقده العالم بأسره , إنه الحب الذي جعل نظرتها للحياة تتغير لأنها قررت دخول رجل إلى حياتها.

كانت البدايات فضولا من نسيمه في أن تعرف نواياه اتجاهها وكذلك لأجل أن تتأكد من أن الحب لازال موجودا في داخلها .تمضي الأيام لتنتبه نسيمه أنها فتحت بابا للآلام في حياتها فخالد شهريار جيله , فهو وفي أي مكان يأسر قلب الفتيات , كان يفترض بنسيمه هنا أن تتراجع , لكنها لا تملك أي خيار في التذمر فهي لاتحب أن تبدأ طريقا ولا تكمله وكذلك أن الأحلام التي انطلقت ترسمها لا قاعدة لها , فلا هي اعترفت بحبها لخالد ولا هو فعل ذلك لكنه أجاد السيطرة عليها وجعلها تعترف لصديقتها بشعور الانتماء إليه الذي أصبح يملأ داخلها . وحين تضعف وتشعر بالمهانة كانت تبك وتمضي لياليها سهرا , وحين يغيب لفترة تمتلك الشجاعة في نسيانه لأنه لا يستحقها ولكنه سرعان ما يعيدها لحبه بابتسامة صغيرة منه ,وفي نفسها أوهام وأمال تخبرها أن له مكان في قلبه ولا يهمها أمر هؤلاء الفتيات .

وكل هذا في كفة لأن قناعتها بأنه وحبها سيغيرانه وسيختارها من بين الجميع لأن كل الفتيات غير جديرات به ـ مع أن الحقيقة غير ذلك ـ وفي كفة أخرى تتلقى سهما جمد حركة الدم بشرايينها وجعلها في نظر نفسها

لا شيئ سوى علامة استفهام سيظل من حولها يحاولون حل اشكاليته , سهم غير مفهوم الحركة بداخلها.

وشاح أسود أخر غطى نور المشاعر الصادقة التي أرادت دائما الاقتناع بها وذلك عندما كانت جالسة وزينب تناقشان أمر أحمد.

زينب متجاوزة نقاشها:إنه أب لطفلة

نسيمه :لا أظن ذلك ـ ثم ليس عليك أن تصدقي أحدا غيره ولم يعد يفصلكم عن الزواج إلا أيام.

زينب : لم تفهمي قصدي

سكتت زينب لبرهة ثم تناولت من حقيبتها قلما وكراسة وأخذت ترسم لها رجلا وامرأة وبينهما طفلة كاتبة على شكل الرجل خالد ثم تأملت ردة فعل نسيمه ,لكن نسيمه لم تبد أي حركة فقط اغرورقت عيناها.

خوفا عليها ابتسمت وقالت : أنا أمزح فقط.

نسيمه :منذ متى تعرفين ممازحتي بهذه الطريقة أو الكذب علي حتى ؟

زينب : صدقيني سمعت الخبر لا أنا متأكدة ولا من قالته متأكدة.

نسيمه :مهما كان مصدرك فذلك مجرد كذبة .

لكن مكرها وعنادها عاودا الكلام حتى وإن كان الأمر صحيحا لا يهم أنا أحبه ـ ثم الحق على زوجته رجل مثله ماكان ينبغي لها أن تهمله , لأنه ثعلب الصحراء الماكر , ماكر هي أول صفة قرأتها في عينيه لكني تغاضيت عنها ولم أعترف بها.

زينب :ثعلب ماكر تقولين عنه ذلك ولا زلت متمسكة به ؟

نسيمه : حين تعمقت في بحر عينيه أول مرة قرأت ذلك الكم الهائل من المشاعر المتصادمة , وصدقيني كان ذلك بالنسبة لي هو الكمال , وفي الآن نفسه أعرف لوأنني رميت كامل ثقتي بمشاعري على كاهله و انفجرت وقررت الجنون لن يقدر على حمل شيء بل سينكسر , أنظري إليه حين أتشجع وأطيل النظر إليه كأنما يكون في سبات حين يستفيق يتراجع منكرا وجودي في الكثير من المواقف حين يعتزم قلبانا الالتقاء .

زينب :ذلك يفسر أنه مجرد جبان.

نسيمه : ليس جبانا لو كان كذلك ما كان قلبي ليحبه , أنظر فقط لتفاصيل الانحناءة بجسده والتي لا يراها أبدا إلا من يحبه فرجل مثله ما كان ينبغي أن يعيش حياة كهذه , وصدقيني كذلك حين أقول لك أني أراهنك بحياتي في أن هناك ألاما وأهات بحياته , أنا القوية ولن أقدر على حملها لو حدث وتقاسمته إياها, وهذا ما سيجعلني أستمر وأتحمل النتائج أعيد وأأكد سواء أكان الأمر صحيحا أم لا سأمضي في طريقي لأنهم يقولون أن الحب مرة واحدة في العمر ,وأنا أحبه ولا أريد أن أعلم قلبي النفاق في أن يحب اليوم أحدا وغدا أخر .

زينب ذلك ليس نفاقا بل خيارات إجبارية .ـ ثم ماذا ستجنين ؟

نسيمه :صديقتي لا أدري لكني سأمضي في دربي ثم كل هذا الحل والربط وحكاية الحب هذه لا وجود لها بيننا .

زينب : عجيب أمرك وعجيب صراع أفكارك وقراراتك إذا كان الأمر كذلك , ما الذي يحدث وما الذي يكبلك في أعماقك ويجعلك أسيرة قلبه.

نسيمه :أولا لست أسيرة قلبه بل غريقة في بحره العميق المليء بالأسرار ثم أتدرين زينب لوأنه كلمني لربما تعاليت عن حبي له , ورفضت وجوده بداخلي ليس لشيء سوى لقناعتي أن الحب بين قلبين وليس كلمات تجعله متسخا وغير نقي, وكذلك هو ذلك النسيم الذي أتحسسه فقط وإشارة نظرة واحدة تجعل القلب أسيرا في لحظة ,يا الله أصبحت معظم أوقاتي تمضي في الكلام عنه.

زينب : بل هو أصبح كامل وقتك المهم لنذهب فقد انتهت فترة الغداء.

انصرفتا إلى عملهما والخبر بقي يشغل بال نسيمه إلى صباح اليوم الثاني ,وبالمستشفى بحثت نسيمه عن طبيبة من معارف خالد لتسألها عن الخبر ,ولكي لا تشك الطبيبة في الأمر أخبرتها أنها تراهنت وصديقتها على عدد أولاد خالد وأنها تريد أن تعرف منها الأكيد.

الطبيبة :على ماذا كان رهانكما ؟

نسيمه :أكدت لي صديقتي أبوته لولد أو أنه لم يرزق بعد بأطفال لكني حاولت أن أأكد لها أنه أب لثلاث أولاد على أقل تقدير.

ابتسمت الطبيبة وقالت : عجيب غالب من يراه يقول أنه أعزب وأنت تجعلينه ثلاثي الأبوة.

نسيمه : من جهة أنه متزوج أم لا فالخاتم الذي بإصبعه يؤكد أنه متزوج ,أما تخميني فهو لأن لي خال في مثل سنه وله خمس أولاد .

همت نسيمه للانصراف خشية أن تلحظ الطبيبة ارتباكها ووقع الصدمة عليها بعد أن اعتذرت على الإزعاج.

الطبيبة : سأخبر خالد على تخمينك وحتما أنه سيهرول إلى المرآة ليبحث عما كبر فيه ,لأنه يظن أنه يملك الشبوبية التي لا تزول ـ ولما هرولت مرتبكة دون أن تعرف اليقين ؟.

نسيمه :ربما على يقين أني الفائزة.

الطبيبة : ياالك من فتاة يانسيمة لا أستغرب حب الناس لك ـ المهم مستوى الرهان واقع بينكما لأنه أب لتوأم ذكور وطفلة.

غريب هو إحساس نسيمه في الكثير من المواقف , بدل أن تلعنه في داخلها, أخذت تفكر في شكلهما وأنه يمكن لها أن تحبهما كما أنها فكرت في احتمال في نفسها وهو أنه كان سيختارها خالد لو أنه التقى بها قبل التقاءه بزوجته وعندما يرجح أمر اختياره لزوجته تعاود العناد وتصرخ على أفكارها قائلة : لا والله لو أن الزمن كان زمني لم تركت أي واحدة تأخذه مني . بهذا الخبر أخذت نسيمه جرعات من السموم التي قبلت أخذها من ثعلب الصحراء مع هواء ساعات الصباح الأولى وهي تتأكد أنها تسير في الحياة دون أن تحاول النظر لغيره حتى نفسها وأحلامها لم تعد تجيد رؤيتهما.

توقفت نسيمه عن الكلام وأخذت تمسح دموعها من على وجنتيها بعد أن سقطت بضع قطرات على القطة وصغيرها .

بينما يقاطع صقر الموجة قائلا : لكن في كل القصة لم أجد سببا لركوب الشابة بالقارب ؟.

الموجة : الأحداث القادمة بل خاتمتها هي من دفعتها إلى فعل ذلك , فبعد أن مسحت دموعها ومداعبة القطة عادت لحكايتها :

لم تجد نسيمه ما تفعل سوى أنها طلبت إجازة عاجلة وذهبت لزيارة أختها , لم تذهب لتروي عطشها لشوقها لأختها وأولادها , بل لتمضي ثلاث أيام نائمة لا تدري لما ولا ماذا تفعل سوى البكاء ,ولم تكن تتذمر أو تفكر في حل لحياتها وليس هناك في داخلها أمر حتى خالد , لأنها باتت تشعر أنها صحراء قاحلة شاسعة حتى الأصوات والحركة لا وجود لهما , صمت يجعلها تشعر أنها مجسم فارغ ودورة الدم فيه لا تصدر سوى زفير ريح خافت , ينبئها مرات أنها موجودة بين البشر , وحين يكون فكرها فطنا يسأل فقط إن كان خالد كذلك لما أحدث كل هذه العاصفة بحياتها , لقد غير لها المفاهيم وحطم كليا إطار حياتها .

تمالكت نفسها واستعادت عافيتها لتعود بعدها إلى العمل , بعد أن سألت أختها النصيحة في ما يمكن أن يساعد حين يعتزم الإنسان نسيان شخص ما , وبطبيعة الحال لم تبخل الأخت في مد تجربتها لأختها لأجل أن تستفيد , لكنها لا تعلم أن الحقيقة هي أن نسيمه لا تفكر نهائيا حتى في محاولة نسيانه , فكيف لها أن تقتنع بما قدمته لها . توكلت على الله وطلبت عفوه وغفرانه على الطريق الذي اختارته , عائدة إلى حب خالد وكأنها لم تكشف عن حياته جرما ـ لأنه صدقا بالنسبة لها لم يفعل شيئا ـ

وفي نفس الوقت جربت مرارا احتقاره ونبذه من قلبها لكنها لم تكن تفعل بل دائما تضع له الأعذار . ماضية في حياتها تجعل تنتظره عند الباب حين يجيء موعد عمليته الجديدة ولفترات التي كانت تفصل بين عملياته تطول إلى الشهر في بعض المرات , لكنه كان يأتي أحيانا محتجا ببعض الانشغالات ـ باطنيا كانت متعلقة بمتع حياته ـ في حين نصبت نسيمه نفسها راعية لسعادته وراحة باله فتراقب أيام فرحه وكآبته وتقيس على ذلك مقدار راحة بالها في الأيام الموالية .

زينب حين تأكدت من كل الأخبار سعت لجعلها تنساه بوضع كل الحجج والأسباب أمامها ,جامعة كل أخباره السيئة ومواقفه الحرجة فتعزم نسيمه النسيان لأجل صديقتها زينب فتنس لأيام وربما لأسابيع ,لكن سرعان ما يعيدها إلى طريقه , والكارثة أنه هو الأخر أصبح يعتبرها تخصه وأمرا ضروريا في حياته.

وبعد مضي هذه المدة اكتشفت نسيمه أن الشعور الذي يكنه لها هو الأمر الذي يجعله لا يقترب منها لأن حبه لها نابع من احترامه وأسره في براءتها, لأنه لا يريد أذيتها وهي النقية البريئة ,وذلك حين يكون في حوار معها في العمل يخبرها مخاطبا غيرها عن نظرته لها , وحين يكاد يبوح لها عن رغباته يتوقف عن الكلام ويتراجع بالعا الكلمة كما يبلع طعامه , فتستنشق هواء تلك اللحظة ـ لأنها كانت تظن أنها يوم ستجعله يعترف ذلك هو انتصار الحب ـ ويبقى ما استنشقته عربونا لما لن يقدر خالد على الاعتراف به . وبذلك تعود إلى حبها له مرات ومرات حتى أنها أقسمت لله أنها ستحبه دائما وإن لم تكن نصفه الأخر بالدنيا ستكون كذلك بالجنة لأن حبها له طاهر نقي .

مضت سنة على كل ذلك فاعتادت الوضع وكلما أنبها تفكيرها لأنها مخطئة وهي تفكر في أمر يدمر عائلة, توضح أنها لم فعل شيئا وكل ما في الأمر أنها أشعلت نارا تحرق بها قلبها , وكل ما مضى يوم تضع بها عودا من الحطب كي لا تنطفئ , لأنه إن أرادني بالدنيا لن أدمر شيئا لأني سأرضى أن أكون زوجة ثانية , وإن كان لقائي به في الجنة فلا دخل لأحد بذلك.

سألتها زينب : أترضين أن تكوني زوجة ثانية وفي المرتبة الثالثة بحياته ؟؟.

أجابت نسيمه بكل ثقة : مادمت زوجة ثانية لخالد أقبل بكل حب .

زينب :نسيمه الجميلة التي أحبها الجميع والتي تهافت عليها الخطاب عند بابها .- نسيمه التي رفضت العيش ملكة مدللة عند يعقوب وعمر وزكرياء , تقبل أن تكون زوجة ثانية ,تقبل أن تكون في أدنى الرجات.

نسيمه :أجل ترضى لأنه الرجل الذي استطاع دخول قلبي دون أن يعطين فرصة للتفكير ,مخالفا قواعد كل الذين ذكرتهم.

في الخريف الذي يمضي من حياة نسيمه في الأوهام والأوجاع كانت الأوراق تتساقط من أشجار المستشفى والجميع في استراحة الغداء كانت نسيمه تجلس مع يمينه ابنة عم خالد ,التي أتت للعمل بالمستشفى منذ مدة وزينب رفقتهم, فتحت باب الحديث وفي خضم ذلك حاولت أن تسحب الحديث إلى أمر خالد.

يمينه لم تتردد أخذت تحكي عنه وعن أوضاعه في العائلة إلى أن وصلت إلى ما قتل نسيمه ,أمر طعنها في الصميم بل بسببه لم يعد لها

وجود , لأنه أمر أبطل كل الحجج في إمكانية ارتباطها بخالد أمر جعلها لا تقدر على النظر إليه حتى ولا البحث عنه ,فخالد عاش قصة حب قوية مع زوجته قبل زواجهما , لأنه كان يعمل بعيادة كبيرة ورثها عن والده , تعرف على منى وأحبها وتقدم لخطبتها من والدها وهذا الأخير كان ذا منصب مهم بالوزارة , رفض على اعتبار أن خالد ليس من مقامه . فاحتجت منى مغلقة على نفسها باب غرفتها معلنة أنه إما تتزوج خالد برضا والدها أو أنها ستهرب معه فما كان على والدها إلا الرضا وقبول زواجها. وهكذا حصل الزواج لكن حصيلته أن ياسين فقد عيادته بسبب صهره , لكن الزواج استمر وأنجبا الأولاد ولم يتمكن خالد من العمل في مجال الطب من جديد إلا مؤخرا حين رضي صهره به مكرها, لأنه لم يجد الضغط على ابنته فعاد خالد إلى الطب لأن المرأة التي أحبها لجانبه.

في هذه اللحظة تخيلت نسيمه أنها مجرد فاشلة ساذجة وغبية تطير بجانب خالد ونفس واحدة من منى طارت تلك الفراشة واندثرت.

أضافت يمينه أن حب خالد لمنى أصبح الحلم الأبدي لفتيات العائلة في الحب والرومانسية حتى أنهن يضعن أوصاف أزواجهن وفق أوصافه .

لم تقل نسيمه حينها شيئا , حتى أنها لم تبد أي حركة تبين شعورها , لتعرف زينب ما بداخلها لأنها الوحيدة في كل هذا العالم تدري ما البلاء الذي أصاب صديقتها وباتت تتحسر ندما لأنها قد شجعتها يوما على هذا الحب . أما بداخل نسيمه فقد كان كل شيئ ينهار ,الآن فقط باتت نسيمه تشعر بما يحدث بداخلها , جدران قلبها أصبحت كورقات شجر الخريف التي تتساقط بكل زوايا المستشفى , تتناثر هنا وهناك ملتصقة بأطراف

جسدها لتقتله لم تعد تدري ما تفعل , وما هو الصحيح وما هو الخطأ . فقط تسأل نفسها عن السبب الذي جعله يدخل حياتها ولما كان يفتقدها ويرفض غيابها وأنه لولا حياءه لكان يسأل الناس عنها حين تغيب لما جعلها عبده لأوامر عينيه مكتفية برضاهما رغم أن الدنيا تبغضه وتنكر عليه الحب الذي تكنه له. كل هذا لأنها حمقاء غبية تافهة , أمنت بالحب والحب غير موجود بين البشر ليس هناك حب إلا الذي جمعني مع قطتي ـ هذا ما كان يجول بخاطرها ـ التي تستقبلني عند الباب وأنا أزور أختي وتأتي لتنام على صدري وأنا نائمة واضعة خدها على خدي , وحين ماتت شيعت جنازتها وبكيتها . هو فقط بين دفات الكتب , أمنت بالمعجزات وما هي إلا للأنس والترفيه , يارب ماذا حل بي رغم كل ذلك لا أقدر على كراهيته , سامحيني يا منى لأني أحببته لكن والله أني أردت أن أغيره بحبي له , لكن حبك العظيم ولم يثمر فماذا أفعل أنا ؟ .

بعد ذلك غادرت نسيمه المكان ومرت به دون أن تلمحه حتى ,فناداها على حجة أنه بحاجة إلى ممرضة لمساعدته نظرت له وقالت في نفسها ::أحمق حتى ولو أنه أحبني لن يعترف وأعلم أني أعني له شيئا لأنه يستحيل أن يأتي حبي له من فراغ: لكنه لا يعرف ولن يتعرف فهو يحب الصيد السهل وأنا لست كذلك.

خرجت من المستشفى متجهة إلى محطة الحافلات وركبت الحافلة المتوجهة إلي المدينة التي بها أختها ,وفي الحافلة كان موعد جديد في حياتها ,وذلك حين سمعت شابا يحكي ورفيقه عن القارب الذي سينطلق بالبحر ليلا بعد يومين وكان ذلك قرارها , إما أن تصل إلى الضفة الأخرى وتبدأ حياة جديدة ربما ستجد من يمحو من ذاكرتها المآسي

الخرقاء, أو تعيش على ذكرى الحب الذي لم يكن الزمان ولا المكان مناسبين له , والغريب أنها لم تستطع كراهيته بل قررت الاستمرار في حبه وأودعت حبها له عند الخالق لعلها تلقاه بالجنة لكنها سرعان ما تذكرت أن جزاء الرجل بالجنة هم حور العين فتنازلت عن ما طلبت ,وتمنت فقط أن تتمكن من مراقبته ورعايته ورؤيته سعيدا من بعيد واحتمال الموت غرقا عرض البحر كان مرفوضا بالنسبة لها لأنها كانت ترى أن المقادير من عند الله , ورغم ذلك اتفقت مع الشابين وهاهي الآن تحملك يافطة بين ذراعيها وأعلم أنه ما من سببن يدفعني لذلك ولكن فعلت ذلك وكفى , إن حدث ومت عرض البحر ستحكي زينب حكايتي لخالد لعله يأتي لقبري ويقول:

لو التقيتك قبل عشرسنوات لما تخليت عنك أبدا.

وبعدها يعود لحياته ويجدد عهد الوفاء بينه وبين زوجته فأنام مرتاحة البال بقبري أو في أعماق البحر أو حتى في بطن الحوت عليه وعلى زوجته وأولاده ,فأعلمه أن الحب ليس فقط نشوة ورغبة تدفعك للوصول إلى الطرف الأخر والتمكن منه , فلو كانت غايتي كذلك لكنت تزوجت منذ زمن وربما انحدرت إلى مستوى الفتيات اللواتي دخلن حياته.

الحب في مفهومي الساذج ليس بعلو السماء ولا بدنو الأرض التي نمشي عليها ونزرع بها زهور الحب فتداس لأنه ذلك النسيم الرائع الذي لا أحسن إمساكه ولا تحديد حدوده , فأنا حين أقول سماء يعني أبعد حد في الكون وإن قلت أرض فهي ذلك المجسم البيضاوي الذي تم اكتشافه وتحديد مساحته ,أما حين أقول نسيم فهو تلك النسمة الإلهية التي هي في

الفضاء كله سماءه ونجومه قمره وشمسه نيازكه وكواكبه غيومه وأمطاره وثلوجه رياحه وأعاصيره , كائنات حية وجامدة.

نسيم الحب يدفعك لأجل الاستمرار حتى وإن فقدت كل شيء .ولم أركب القارب يا قطة رغبة في وضع حد لحياتي وليس لي حاجة في الضفة الأخرى, ركبت لأن من قادني هو ذلك الصوت المخيف الذي كان في صحراء داخلي ,ولعل الساعات القادمة ستعرفني سبب ركوبي .

الموجة : وهكذا يا صقر أكملت حكايتي لهذا اليوم فمع السلامة.

غادرت الموجة , أما صقر فبقي شاردا لبرهة يفكر في نسيمه وبراءة حبها الغبي لرجل لا يستحق ولا تدري حتى إن أحبها , لكن الحقيقة التي فهمها صقر هي أنها لم تحب خالد كرجل بل كمجرى أفرغت فيه كل المشاعر التي أجاد خالد نبش موطنها الذي دفنت فيه منذ زمن بعيد , نظر صقر للسماء ودع الله أن تكون نسيمه من الناجين لأن خالد لا يستحق أن تموت لأجله براءة الحب.

Openkan.com

هذا أنا

بعد أن انصرف صقر إلى عمله وأكمله ,توجه إلى الشاطئ الذي وقعت به المأساة فضولا منه ليعرف إن كان هدف نسيمه قد تحقق , لأنه كل ما فكر فيها يتسأل في أنه حتما هناك خطب ما في حياة ذلك الرجل, لأنه حتما حب نسيمه لم يأت هكذا من فراغ فهي حسب ما روت عنها الموجة ليست بحاجة إلى الأوهام في حياتها.

عندما وصل أخذ يتفقد زوار الشاطئ , لكن ما من أحد يحمل صفات خالد , بقي يجول الشاطئ لمدة من الزمن لعل خالد يأتي , جاوز الوقت صلاة العصر فقرر الانصراف , وهو يصعد عبر الصخور التي تزين المكان سرقت أذناه كلمات رجل يسأل أحد الجالسين.

قائلا : لو سمحت أخي أهذا هو الشاطئ الذي وقعت فيه الفاجعة ؟

أماء له الجالس برأسه إجابا فلاح بصره إلى البحر شاكرا إياه , وأخذ يخطو خطواته نزولا إلى الأسفل , وصقر لا ينفك يتأمله فوجد أن صفاته متطابقة والرجل الذي كان بحكاية نسيمه ,لحقه بخطوات هادئة متريثا حتى يتأكد من شخصه , وعندما وصل إلى حدود الشاطئ توقف لبرهة مادا كفاه إلى حد وجهه قارئا سورة الفاتحة ,لتليها تنهيدة ابتلع نصفها مكابرا على إكمالها, هذا ما أكد شكوك صقر وتأكد أكثر عندما تكلم.

الرجل : رحمك الله يانسيمة , وصدقيني أنك جوهرة عشق البحر ابتلاعها, أتمنى أن يغفر الله لك ولا يعدك منتحرة.

صقر :لقد ماتت بسبب براءة الحب .

نظر خالد له وقال : ما قصدك ؟ ثم من أنت ؟

صقر : أتيت إلى هناك لأراك وأعرف ما تحقق من أمنيات نسيمه.

خالد : ومن أين تعرفها ؟

صقر : بعد أن ماتت عرض البحر وصلت حكايتها لي .

خالد : مادام الأمر كذلك أيمكنني أن أشكو إليك هم تأنيب ضميري ؟

صقر :أجل لأنه ينبغي عليك فعل ذلك ,لعلها الآن تسمعك فتعرف مكانها عندك فترتاح في قبرها.

خالد : أنت رجل مثلي ويمكنك أن تفهمني , أنا متزوج ولي أولاد وكان من المفروض أن أكون راضيا بما قسمه الله لي ,خاصة وأن زواجي نتيجة لقصة حب لكني لم أفعل ذلك, وذهبت في طريقي جاعلا من نفسي لا تقاوم نفسها رغبة في النساء فغدوت أأسر قلوب الفتيات فيسرون في دربي ملبين كل رغباتي ,وليس لهم أمل إلا أن أستمر معهن.

صقر : كما حدث مع نسيمه.

خالد : ـ نسيمه .ـ إن اسمها يعرف كل شيئ , فقد مرت بحياتي بكل طيبة وشفافية ومضت بطريقي بكل براءة ,أردت أن أمضي معها كما مضيت مع البقية لكن كل ما أردت أن أخطو أتراجع لطيبتها ونقائها في التفكير وفي التصرفات, حتى أنها حين تعبر عن مشاعرها تعبر بطريقة طفلة , فلم أرد الاقتراب لكن كنت مصرا على وجودها بحياتي

هكذا , لتكون رمز البراءة والأمل بالنسبة لي ,ثم أتدري ياصاحبي أنها رضيت بأن تكون زوجة ثانية مع أنها لم تكن متأكدة من مكانها عندي .

صقر : لا أخطأت في هذا هي كانت على يقين أنها عزيزة عليك لكنك جبان لا يقدر على تحمل نتيجة اعترافاته.

خالد : كل الذي أعرفه الآن أني قتلت الطيبة في هذا العالم وأتمنى أن يهديني الله ويغفر لي , مع أن داء رغبتي بالنساء يصعب إستأصاله , فأنا لم أجد أخذ القرار الصحيح اتجاهها فأنا حقا لا أستحقها , ذهبت لربها أحسن لها من العيش في دنيا أنا موجود بها.

صقر :لكن الذي لا تعرفه أنها تمنتك زوجا لها بالجنة.

خالد :حسبي الله ونعم الوكيل.

صقر :هل تظن نفسك قادرا على الوفاء لروحها بتركك لعاداتك السيئة ؟

خالد :أسف لا أقدر.

صقر :أأحببتها ؟

خالد :لا أدري لكن موتها ينخر قلبي.

صقر :أتحبها؟ .ـ لن يكلفك اعترافك الآن شيئا لا تكن جبانا .

خالد :أحبها.

وهكذا انصرف خالد وانصرف صقر ليمضي ذلك الليل هادئا سرق فيه صقر ركعتين يدعوا الله أن يغفر لنسيمه.

إلى فجر جديد واجدا نفسه عند الشاطئ ينتظر الموجة ليسمع قصة أخرى وهاهي الموجة مواجهة له .

الموجة :ماذا تعرف عن قوم لوط ؟

صقر : هم قوم سخط الله عليهم وأبادهم لأنهم قوم سحاقيين.

الموجة : وقصة اليوم بطلها جمال ضحية هذه الوحشية .

عندما أكملت نسيمه حكايتها كان صغير القطة قد فلت منها وسقط بالأرض, وهاهو يموء متحركا في حلقة دائرية كأنه أضاع طريقه ,وربما أنه اختنق من جو القارب مريدا العودة لأخوته ,تقدم له شاب مراهق هزيل الجسم ,طويل القامة, هزا لته رسمت منحى العظام على كتفيه , قاتم البشرة قريب لونها إلى السواد, معالم وجهه توضح وسامته وبهاءه لولا غدرالأيام ,فعيناه واسعتان وساعة الكون , بؤبؤتا عينيه ورثهما من حور العين, قاتمتا السواد لا وساخة تغطي براءتهما وبريقهما الذي ينضح بالحنان والرغبة في الأمان. خذله منبت الشعر بذقنه فلم يمنحه فرصة رسم تفاصيل لحيته والتباهي بها, لأنه بالكاد هناك شعيرات.

حين اقترب من نسيمه ابتسم ابتسامة وضحت اعتدال أسنانه وترتيبها ونصاعتها ,إنحنى لحمل القط طالبا الإذن من نسيمه في أن يحتفظ به حركت نسيمه رأسها بالموافقة ,وبينما عدل جمال من انحناءته وعاد إلى مكانه بين الركاب بحافة القارب,وأخذ يثبت جلسته بين الركاب بصعوبة ,لكنه لم يستسلم حتى عاد إلى مكانه ,وأخذ يتكلم:

نسيمه تحاشت مخاطبتكم وخاطبت القطة ,أما أنا لن أخشى الكلام لأن ما سأحكيه يعني الجميع, فهذا أنا محور الحكاية التي ينبغي أن تهتموا لها لأنها تعنيكم جميعا:

في مدينة بعيدة عن الشاطئ الذي إنطلقنا منه , مسيرة نصف يوم بالحافلة وبالتحديد في إحدى القرى النائية بها, كانت قرية صغيرة رغم كبر مسافتها أو كما وصفها زائرها , بأنها قرية بها بيوت على هذا الشكل تمشي خطوات كثيرة فتجد بيتا وأمامه كلب, ثم تمد بصرك هناك فتجد بيتا وأمامه كلب, وتعاود مد بصرك أبعد مسافة فتجد كذلك بيتا وأمامه كلب ,وهكذا دوليك .وبهذه القرية كان يعيش مخلوف الشيخ الذي عمر لمائة سنة بالمنطقة قيل أنه حمل عيوب الدنيا كلها, إذا أنك تجده غير منظم في رسم تفاصيل جسده فالجزء الأعلى به لرجل ضخم أخذ ظهره شكل القوس وبينما رجلاه فهما لشخص قليل الصحة وما زادهما بشاعة هو الخطوات العرجاء بسبب الإصابة التي تعرض لها في إحدى الحروب وفوق ذلك كان سليط اللسان , إلا أن حظه بالدنيا غطى كل ذلك, لأنه من الأشخاص الذين لم تؤثر الحروب ممتلكاتهم , فحظي بأربعة زوجات ووصل عدد أولاده في عمر الثمانين, خمسة وعشرين ولدا بين ذكر وأنثى وكان أخر العنقود فطيمة.

في السبعين من عمره تزوج أم هاني ابنة الجيران أنجبت له ثلاث ذكور وبعد أن حملت للمرة الرابعة تنبأت قابلة المنطقة بأنها ستنجب طفلة, تمنت أم هاني أن تسميها فطيمة على اسم أمها رحمها الله , وتعهدت بحبها ورعايتها , وحين إنقضت سبعة أشهر من حملها أصيبت أم هاني بحمى خطيرة جعلتها طريحة الفراش مدة شهر, وبعد مضي

نصف شهر أخر نبهت فطيمة والدتها بموعد خروجها للحياة تجمعت ضرائرها وكذا قابلة المنطقة لاستقبال فطيمة , وكان ذلك الحال خرجت فطيمة للحياة على يد قابلة المنطقة, قطعت الحبل الذي كان يربطها بوالدتها, ثم حممتها من أثار الدم ثم لفتها بقطع القماش التي حضرت من قبل واضعة إياها بجانب والدتها التي لم تتوان في غلب التعب واحتضان ابنتها وتقبيلها وهي تدعو الله السلامة والحفظ لها ,وهي ترضعها لم تكن تعرف أن هناك ماهو مخبأ لها بين طيات الزمن فبعد أشهر من ولادتها تنبهوا أنها لا تعطي ردة فعل للأصوات التي حولها فماذا يعني ذلك ؟.

يعني البلاء لإمبراطورية مخلوف , بلاء عليه تحمله بمفرده , لم يتردد الشيخ المبتلى في نقلها إلى المستشفيات لكن لا أمل في شفاءها, لأن الحمى التي أصابت والدتها وهي حامل بها أثرت عليها ولو أنهم أحضروا الوالدة وقتها لما حدث هذا لفطيمة, ولن يتحمل غيرها هذا الوزر .

مضت السنة وبعدها السنة وفطيمة لا حق لها في أي شيئ وهي طفلة لم يسمح لها باللعب مع الأطفال لأنهم يعتبرونها همجية , فما كان لها رفاق في سنها فحمل الجميع حقائب الدراسة بينما رافقت فطيمة والدها إلى رعي الغنم . دخلت مرحلة الشباب ازداد جمالها لكن لا حق لها في أن تحلم كونها فتاة ,ففي هذا السن كان ينبغي أن تستعد للزواج والاهتمام بعائلة هي مؤسستها لكن ذلك لم يحدث , لا أحد تقدم لخطبتها وحين شعر مخلوف بالخطر على حياتها في أنها ستصبح عانسا, أشاع بالقرية أنه منحها الدار التي يملكها بالجبل ومعها عشرون رأسا من الغنم لكن الجميع ضحك واستهزأ حتى وإن وافق الابن على ذلك فوالده لن يوافق

,فليس هناك أحمق يربط حياته بصماء وأي صماء رفضت إنها الجمال الذي تناثرت حروفه الستة بين مختلف الكتب فمن كل جميلة أخذت نصبيا فمن اشتهرت بالقامة قد تواضعت ومنحته لفطيمة, ومن اشتهرت بالشعر المنسدل حد الخصر قد زرعته بكل صدق على فروة رأس فطيمه ومن اشتهرت بالعيون الثاقبة عيون اليمامة فقد وهبتهما لفطيمة ,وكل هذه الصفات تشكلت على جسد متكامل القوام ناصع البياض صاف كصفاء الحليب.

إنه جسد فطيمة الذي قيل عنها بكل تواضع أنها بكل إصبع صنعة ,فقد أجادت كل ما تجيده فتيات القرية وأكثر لكن لا أحد أراد مقاسمتها حياتها, وحين شارفت الثلاثين ذاق حال أهلها لحالها مما دفع بأحد إخوانها إلى البحث عن رجل يتزوجها مهما كان الثمن وكان أن حدث ذلك .

ذات يوم وهو يسير باتجاه البيت لاح نظره إلى رجل يعرف أنه من عزاب القرية جالس مع همومه ,توجه نحوه ملقيا التحية.

الأخ :أما كان يجدر بك أن تكون مسؤولا عن نفسك ,ولك بيت وعائلة أحسن لك من الوقوف تراقب أبواب الناس.

الرجل :أنا هكذا مرتاح.

الأخ :لكن الله يمقت أفعالك هذه وأمر بالزواج عند القدرة.

قدور : عند القدرة وأنا لا أقدر ـ لا أملك بيتا ولا حتى عملا أعيل به نفسي.

الأخ : إن أمكن لك تعال لتناول العشاء عندنا اللية نحن بانتظارك.

قدور :سآتي بالطبع.

انصرف أخ فطيمة وحين وصل لبيته أمر زوجته أن تعد عشاءا طيبا لأن عنده ضيوف , بعد سويعات قدم قدور وتناول العشاء رفقتهم , وفي جلسة ما بعد العشاء تم عقد صفقة بين علي أخ فطيمة وقدور حصيلتها أنه سيحظى بمنزل وعشرين رأسا من الغنم بالإضافة إلى راتب شهري يعيله مدى الحياة وذلك في حالة ما وافق على الزواج من فطيمة , وافق من أن يرى فطيمة على اعتبار أنه يعرف جميع نساء القرية.

حدث الزواج ومضى أسبوع كان كالحلم بالنسبة لفطيمة ,ضانة للحظة أنها وجدت السعادة فقدور جعلها ملكة على كل النساء بحسن معاملته , والكلام الطيب الذي اختلف فيه عن كل العشاق الذين اختاروا كلماتهم من دفات الكتب, لأنها كلمات قدور التي صقلها بخبرته عبر الأيام وهو يغازل نساء القرية ويلاحقهم.

وفي ليلة حالكة الظلمة بعد تناول العشاء جلسا معا لمشاهد التلفاز ,نظر قدور لفطيمة لبرهة من الزمن حافظا إياها داخل عينيه .

بإشارة قال : أتدرين أنك إحدى حور العين غير الله موطنها من الجنة إلى الأرض ولا أدري إن كان ذلك نعمة أم نقمة ـ صدقيني لو التقيتك في ظروف أخرى لمنحتك مامنحه هارون الرشيد لزوجته لأني سأحبك بنفس القدر لذا أنا أريد أن أغير حياتي وأصبح مسئولا عن نفسي وأن أقدر على رعايتك ولأجل ذلك سأسافر غدا إلى المدينة لأجل العمل ـ أريدك أن تعرفي أن ما كتبه ولدك لي كمهر لزواجي بك أعدته كتابته لك ولم أحلل لنفسي إلا ثلاث رؤوس غنم أريد أن أبدأ بهم حياتي وأعدك أني سأعيدهم لم بمجرد تيسر حالي ,

بالإشارة قالت فطيمة : لست بحاجة إلى العمل ـ ثم إذا ذهبت إلى المدين مع من سأبقى ؟

قدور : بعد شهر سأعود لأخذك ـ أريد منك أن تعدي ي حقيبة السفر

كان الأمر كذلك أعدت فطيمة حقيبة السفر لزوجها وفي صباح اليوم التالي ودعته على أمل أن يعود لأخذها , إلا أن وداع قدور كان على أمل أن تسامحه على فعلته بها وعلى ما سيفعله.

غادر قدور ولم يعد انتظرته لأيام وهي في كل يوم تتنبأ أنه اليوم هو اليوم الذي سيعود فيه زوجها ولكنه لم يعد . وقد قطعت عائلة فطيمة الأمل في عودته عندما سمعا من أحد أصدقاءه أنه خطط للنزول إلى المدينة ثم التوجه إلى فرنسا بعد ذلك .

مضى شهر ليعلم الجميع أن فطيمة حامل, جن جنونهم حتى بلغ بهم الأمر أن جعلوا من والدتها تسعى لإجهاضها بأي وسيلة كانت , وكان أن حدث ذلك فقد حاولت الوالدة بكل الطرق كي تفقد فطيمة حملها لكنه لم ينزل رغم الآلام والأوجاع التي تعرضت لها لكن الطفل لم يفارق رحم والدته وولد بعد أكثر من ثمانية أشهر على ذلك العذاب الذي تعرضت له , سمي جمال الذي نبذه الجميع مثلما نبذت والدته وهي صغيرة إلا والدته التي أحبته واعتنت به وأحبته لأنه ذكرى قدور واعتنت به لأنه سندها وأنسها في هذه الدنيا إلى أن أصبح عمر جمال عشر سنوات بلغ هذا العمر ولم يدخل المدرسة ولم يحبه في هذه الدنيا بعد والدته إلا جده مخلوف الذي غلب الحب والشفقة اتجاه حفيده قسوته وسخطه على والده الهارب فجعل منه رفيقه في وحدته وفي رعيه للغنم وكان ذراعه المرتعشة ووسادته التي يتكأ عليه جمال عند النوم في

العديد من المرات وحين شارفت الأيام الأخيرة من حياته أقدم مخلوف على خطوة قاسية وأنانية يعرف نهايتها وهي أنه تزوج فطيمة لرجل صالح رجل لم يأخذ من اسمه نصيبا فهو رجل مطلق وأب لولدين يبلغ ابنه خمسة وعشرون سنة وابنته تصغره بعام طلق زوجته بعد أن أجبره والدها على تطليقها وذلك بعد أن ضاقت ذرعا بجبروته وطغيانه وقد تحصلت منه بفضل الله ثم بفضل ولدها الذي أقسم أنه يفضل موتها على أن تعيش يوما واحدا في حياته مع رجل صالح أما مخلوف فقد تغاض عن كل ذلك مغمضا عينيه مقنعا نفسه أن قسوة رجل واحد ليست كقسوة مجتمع وعائلة تسعى لتقاسم ثروته وهو على قيد الحياة.

وكان الزواج رغم أنه ليس كذلك بل عطية لوحش هروبا من المجتمع وقد أطلقوا عليه زواجا ليرتاح ضميرهم وذمتهم أمام الناس وليس أمام ربهم لأنهم قصدوا لها الستر في بيتها هي وابنها .

مضى شهران بهدوء جعل من الشيخ مخلوف يموت بسلام لأنه اطمأن على ابنته لكنه لم يعلم أنه هدوء يسبق العاصفة وأنه بعد موته لن يشاهد ما مصير فطيمة أحد سوى ابنها جمال . علم ذلك الزوج الذي اسمه صالح أن زوجته الصماء حامل فجن جنونه وبدأت ملامح الوحش وتصرفاته ليحول حياة فطيمة وجمال إلى الجحيم وما كان يفعله يذكر جمال دائما بالأبطال الأشرار في الأساطير التي كان يحكي له جده عنها ,لكن ذلك الوحش لم يكن يظهره ألا عندما يرسل ولديه إلى والدتهما استيقظ جمال ذات صباح وذهب للعب مع رفاقه ولما عاد وقت الغداء اتجه مسرعا نحو المطبخ لتناول الغداء وهو يصرخ مع علمه أن أمه لا تسمعه.

جمال : أمي إني جائع جدا ـ هل الأكل جاهز ؟.

دخل غرفة الطعام وتربع عند طاولة الأكل التي كانت والدته قد وضعت عليها الكسكسى في حين كان قدر المرق على النار ,كي يحافظ على حرارته انتظر جمال المرق لبرهة لكن والدته لم تقدم له شيئا.

سألها : ماذا هناك يا أمي لما لا تسكبين لي المرق ؟

فأشارت له أن يتقدم لأخذه بمفرده ,وقف جمال وهو يتأفف وحين مد يده لأخذ إناء المرق سقط بصره على سلسلة تكبل قدم والدته ,فكف عن أخذ الإناء وهو ينظر لأمه.

يصرخ مرددا : ما هذا يا أمي من فعل ذلك بك ؟

محاولا فك قيودها لكنه لم يستطع ,في تلك اللحظات يتيقن جمال أن زوجها صالح هو الفاعل .دخل صالح الدار وهو يصرخ وشتم بشتى لكلام الدنيء دون أي حاجة مناديا فطيمه حمار العمل لديه .

صالح : هاي يا صماء أين أنت تعالي واحملي هذه الأكياس إلى داخل المخزن.

دخل المطبخ وحين وجدها تهم للوقوف اقترب منها وأخذ يدفعها جرا خارج المطبخ.

مرددا :أسرعي ألا يكفي أنك صماء وفوق ذلك بطيئة الحركة .

تشبث جمال به محاولا الدفاع عن والدته وهو يصرخ.

جمال :أتركها أيها السيئ ماذا فعلت لك أمي لتضربها ـ أتركها أيها الجبان ـ ثم لم تضع السلاسل حول قدميها.

أمسكه صالح من ذراعه وراميا إياه بجانب من غرفة المطبخ .

صالح : لما لا أضع لها السلاسل وهي مجرد دابة تقضي حاجياتي.

بقي جمال يصرخ ويبك بمكانه أما صالح فقد أخرج فطيمة إلى باحة الدار أمرا إياها بحمل الاكياس ووضعها بالمخزن, كان ينظر بوحشية ويستهزأ بها ضاحكا على ملئ صوته.

مضت الأيام والشهور وهو يفعل بها نفس الشيء يكبل قدميها بالسلاسل ويأمرها بالقيام بما لا طاقة لها به وقد بلغت وحشيته أن يخرجها لباحة الدار رابطا إياها بوتد وسطه في أيام الشتاء البارد تاركا إياها الليل أكمله في تلك الحالة ليفكها في الصباح الباكر لأجل أن تعد له الفطور في لحظات العذاب تلك كان جمال يحاول مساعدتها وانقضاها من يديه وهو يذكره بأن أمه لم تفعل له شيئا وما ذنبها إن ولدت بكماء فلو أنها في عهد هتلر لكان قد رحمها قبل أن تولد وترى النور بإبطال وتدمير طريقها للحياة. لأنه صغير لا حول ولا قوة لها لم يقدر على فعل شيئ أمام ضخم مثل صالح وضخامته تلك جعلته في نظر جمال مثل الغوريلا التي قتلتها الحسناء وحين كانت قوى جمال تخور ينام لجانب والدته وعندما يكشف الوحش ذلك يدخله إلى غرفته غصبا والغريب في الأمر أنه لم يمد يده على جمال إلا لدفعه وإبعاده عن أمه

وهكذا مضت الأيام والشهور تعرضت فيهم فطيمة لأقسى تعذيب في تاريخ المنطقة وقد كان صالح حين يحضر أولاده للبقاء عنده يفك وفاق فطيمة ويحسن معاملتها

ولديه كانا طبيبين ورائعين مع فطيمة وجمال وفي حديث جمعهما بجمال عن ولدهما أخبراه أنهما يعلمان مقدار القسوة التي تعاني منها

والدته فطيمة وأنه قد مارس ذلك مع ولدتهما في فترة ولادتهما إلا أن الله خلصها منه تحت يد جدهما وهو يتظاهر بطيبة أمامهما لكي يغير رأيهما ويعاديا والدتهما فهي السيئة على حسب زعمه والدتهما وجد والدها إلا أن فطيمة المسكين لا أحد عندها يحميها رغم أن أهلها يحتلون القربة بكاملها من حيث العدد والمكانة

وعندما قرب موعد الولادة أرسل صالح ولديه إلى والدتهما وطلب بقأهما لمدة شهر هناك لأنه كان يعد لفطيمة عذابا ر تحتمله الجبال إذا أنه اشتر ثلاثون كيسا فارغا من الحجم الذي يحمل خمسة وعشرين كيلوغرام وفي منتصف إحدى الليالي خرج من فراشه وأحضر دلو ماء من البئر وسكبه على فطيمة وهي نائمة , استيقظت مرتجفة ومرتعبة فأخذ يسحبها ويدفعها إلى خارج الغرفة وحين خرج لباحة الدار دفعها لتسقط على الأرض ثم أشار إلى فأس كان قد وضعه من قبل.

صالح : اسمعي يا صماء ـ يرافق كلامه الإشارات ـ سأدخل لأكمل نومي وحين أستيقظ صباحا تكونين قد عبأت عشرة أكياس من التراب وإياك والتكاسل لأنك إن لم تكمل عملك اليوم سأضاعفه لك غدا.

حين دخل غرفته تسلل جمال من غرفته واتجه لأمه التي كانت تحمل الفأس وتهم للحفر.

جمال :هات عنك يا أمي أنا سأحفر .

لكنه لم يتمكن من مساعدة أمه لأن الوحش صالح قد خرج.

أخذ يصرخ :من قال لك قم بالحفر هذا ليس عملك ـ وقتك لم يحن بعد ـالكثير ينتظرك.

وأخذ يسحب الفأس من يده وجمال يقاوم ولا يريد هذه المرة فوالدته قد تعبت وأخوه سيأتي للحياة قريبا .تدخلت فطيمة لمساعدة جمال وكان أن تحول الأمر إليها إذ أخذ صالح يضربها بكل وحشية وفي هذه اللحظة ولأول مرة خرج الأسد من عرينه الذي كان داخل جمال وأخذ يضرب الوحش صالح ويدفعه إلى أن سقط أرضا وضرب رأسه بالوتد الذي كان يربط فيه فطيمة لم يتحرك فظن جمال ووالدته أنه قد مات لكن الحقيقة غير ذلك لأنه وقف وكأن شيئا لم يصبه سوى جرحا صغيرا بمؤخرة رأسه وحين تفقدها صالح وجد بها شيئا من الدم , حينها نظر لجمال بصمت ثائر ثم مد يده ممسكا به وأخذ يجره إلى غرفته وجمال يصرخ ويقاوم , أدخله الغرفة وأغلق الباب ولم تعد فطيمه ترى ولدها ولا الوحش , ولا تسمع الكلام الفاحش الذي يردده صالح ولا صراخ ابنها الذي يستنجد طالبا الرحمة فسقطت بالأرض لشدة الألم موعدا للولادة وحزنا على الولد.

بعد برهة توقف جمال عن الصراخ وكذلك صالح لكنهما لم يخرجا تنفست فطيمة الصعداء لأنها تأمل أن يخرج صالح في أي لحظة ويتوقف عن أذية ابنها.

بينما توقف جمال عن سرد حكايته , توقفت كل الحركة بالقارب إلا حركة القطة لأنها كانت تتحسس دقات القلوب وتصغي بكل انتباه لأن الكل خمن لما حدث داخل الغرفة إلا فطيمة المسكينة :

خرج صالح دون جمال وأنفاسه تتقطع ماسحا العرق من على جبينه ويرسم ابتسامة لا هثة على شفتيه , مادا يداه إلى قفل بنطاله يعدله توجه إلى غرفته دون أن يهتم لحال فطيمة , نست المسكينة كل الألم

وركضت لأبنها بكامل نصفها السفلي زحفا لأنها فهمت أن ذلك الحقير دمره فلا يكفيه أنه وحش لا رحمة فيه , جعل من نفسه شاذا قذرا يعتدي على القصر . دخلت فطيمة لأبنها فوجدته شبه مغما عليه بالكاد هناك نفس للحياة وشهقات سببها الألم والدموع منحدرة على وجنتيه, أخذت تتحسسه وتعدل ملابسه لافة إياه بالبطانية جيدا.

اشتد عليها المخاض وبعد ساعات من الألم والمعاناة أنجبت ابنتها الميتة دون أن تتلقى المساعدة.وكل الذي فعله ذلك المتوحش أنه حين استيقظ ووجد أن ابنته ميتة قام بدفنها بالحفرة التي حفرتها فطيمه . أما جمال فقد بقي مريضا طريح الفراش لأيام وحين تماثل للشفاء علم أنه لن يتكلم مع أحد عن الأمر فليس هناك شاهد على كلامه ولا حتى سند يسنده ووالدته .

ذات يوم قصد جمال المكان الذي يعمل به الوحش صالح كعادته لعله يكسب بعض النقود بالعمل في شيئ ما , لكن ذلك الوحش لم يكتفي بما فعله فقد عاود المحاولة لكن هذه المرة جمال لم يعد يأبه بشيء فقد مد يده إلى فأس كان بجانبه وقام بضرب الوحش على ظهره وذلك حين كان يهم لغلق باب المخزن وحين فعل ما فعل هرب للدار دون أن يلاحظ أحد , بعد ساعات من ذلك أحضره الرجال إلى الدار بعد أن أسعفوه بعيادة القرية , وقد بقي طريح الفراش لأيام وشهور وقد تماثل للشفاء بعودة النطق له لكن باق جسده لا تحرك طلب جمال من والدته أن ترافقه إلى المدينة فقد وجد عملا عند أحد التجار لكنها رفضت واختارت البقاء بدارها.

بعد أن مضت خمس سنوات كان صالح قد استعاد حركة نصف جسده بفضل فطيمة لكنها توفيت إثر لدغ عقرب لها في إحدى الليالي برأسها ولم تجد من يسعفه وتم دفنها هي الأخرى بباحة الدار لجانب ابنتها . وبعد أن دفنت غادر جمال الدار تاركا صالح لوحده , وقيل أنه مات بعد أشهر لأن أحدا لم يزره ولم تقدم له يد العون . اتجه جما إلى أهل والدته لعلهم يعيلونه لكنهم لم يفعلوا , إلا إحدى خالاته فقد آوته عندها لمد سنة ,فاشتد عوده وكسب بعض المال وجمع شيئا من المعلومات عن والده وبذلك لم يجد نفسه إلا وهو بهذا القارب لأنه السبيل الوحيد الذي سيساعده للوصول إلى والده الذي يعرف عنه القليل وهو أن اسمه قدور بن مصطفى وصورة قديمة قدمتها له خالته التي كانت تحتفظ بها نزولا عند رغبة فطيمة وأسبوعا من الحب قدمه لأمه . جمال الغبي يتوجه الآن إلى فرنسا ليبحث عن والده لأنهم استباحوا براءته وهو صغير ضانا أن فرنسا قرية يمكنه البحث فيها عن والده بكل بساطة .

حلم والدي

عندما أكمل جمال سرد حكايته لمح الجميع يلمحونه بشفقة مرتابة فقطع دهشتهم قائلا :

أظن أن الجميع سيقص قصته هنا ونحن نسمع لبعضنا البعض سيمر الوقت وسيحدد مصيرنا بعد ساعات ولن نشعر بمرورها.

ثم وجه خطابه لشابة عشرينية العمر :أنت يا آنسة دورك حسب إتباع الحلقة.

الشابة وبعد أن عدلت خمارها بحركة بسيطة بجهة الجبين إشارة للاستعداد ونظرة خاطفة للجميع ظهر من خلالها قوة رغبتها في سرد

قصتها والحقيقة أنها كانت نظرة ملتوية مثل أفعى تحاول خداع فريستها إنها قوية وصلبة لكنن الحقيقة أنها مرنة سلسة يسهل سحقها وإن كانت لها قوة فهي في سمها الذي ترشق به فريستها وبدأت قصتها :

باديس شاب أكمل الخدمة الوطنية وهاهو ذا عائد إلى أهله وقريته وإلى محبوبته سعيدة التي كانت بانتظاره منذ فجر ذلك اليوم استيقظت وجهزت نفسها لتكون أجمل فتيات أهل القرية ليس في نظرهم بل لدى قلب باديس ذلك الشاب المتربع على عرش الفتوة لدى كل شباب القرية فهو المغرور المتواضع في منهاج تفاصيل عضلاته التي يتباه بها كونه الوحيد من تلك القرية الذي حظي بفترات التدريب على فنون القتال النبيل في المدينة أناء العطل الصيفية مما أعطاه عضلات قوية ذات حركات انسيابية خفيفة تجعله معتدل القامة , معتدل الحركة في تواضع ملامح وجهه الذي كان يغطي بعض تفاصيله خصلات شعر أجعد الذي يصر على إبقاءه طويلا كاسرا بذلك كل تقاليد القرية التي ترى أن طول الشعر للفتيات . لكن ذلك لم يبقى موجودا حين انضمامه للخدمة الوطنية .

جعلت سعيدة ترسم عينيها الصغيرتين المسروقتين من لون السماء في صفائهما بالإثمد العربي الذي تصنعه أمها وجدتها منذ زمن لأن الإثمد العربي هو أجمل أدوات الزينة في قريتها وكذلك لأن مساحيق التجميل الأخرى ممنوعة عندهم ولا تجوز إلا للمتزوجات كما استعملت المسواك وهو دلك الخشب الرقيق اللين الذي يمضغ لغسل الأسنان لتصبح بيضاء ناصعة تحملهم لثة جعل منها المسواك رفقة الشفاه ذات لون جميل مزج الأحمر والبني ولما انتهت من ذلك صففت شعرها البني وجعلت منه جديلة انساب على كتفها بعدها ارتدت فستان أزرق

كانت قد أبدعت ابنة الجيران في تفصيلها وخياطتها . وقد كان كل هذا قبل ساعات من وصول باديس لأنه وصل مع صلاة الظهر وقبل الصلاة لم تكن لتيأس أبدا فهو سيدخل من الباب المشترك لكلا العائلتين لأنهما يقطنان بنفس الحوش وعندما سيخطو خطواته حتما سيلمحها لأنها ستوجهه إلى ينبوع الماء الذي هو بحوش الدار ولتملأ دلو الماء , وكان ذلك حقا لكن لم يكن بقدر الوقت الذي جملت نفسها فيه وانتظرته, لأنه كان لثوان فقط وفي هذه الثوان تخلص باديس من ظمأ هجير الأشواق لمحبوبته.

بعد شهر أصبحت سعيدة زوجة باديس , وأنجبا ولدين مع مر السنوات بعد أن انفصلا عن عائلتهما ونزلا إلى المدينة حيث وجد باديس عملا عند أحد التجار وفي أزمة مالية أصابت ذلك التاجر فقد باديس عمله فذاق قوت العائلة مع مر الوقت لكنه لم يستسلم ماضيا في البحث عن عمل يعيله ولكن العمل الذي كان يحصل عليه كان عملا مؤقتا وفي شتى المجالات لأنه لا يملك مؤهلات ليحظى بوظيفة دائمة فشغل منصب سائق أجرة وكذلك عاملا من عمال النظافة حتى أنه وضع طاولة لبيع السجائر ولوازمها أمام باب بيته إلى أن أتى اليوم الذي كان عليه أن يفكر في عمله بشكل جدي أكثر لأنه أبح مخيرا بين العودة إلى القرية والاهتمام بشؤون الأرض والمراعي وشتى الأملاك التي يملكها والده أم يبقى بالمدينة حيث الحرية وحيث لا يذكره أحد بالخصام الذي حدث بين والده وعمه والد سعيدة والذي حدث بعد سنة من زواجهما وذلك لأجل الميراث الذي تركه جده دون تقسيم تاركا خمسة أولاد وثلاثة أبناء.

سجل انه الكبير زكرياء بالمدرسة وأطلعته زوجته سعيدة بأنها سترزق بطفل بعد سبعةأشهر وهذا الخبر تلقاه باديس وهو مجتمع رفقة عائلته الصغيرة لتناول العشاء توقف عن الأكل وأخذ يتنقل بنظراته في وجه سعيدة التي لم تعد تملك من المجوهرات سوى أقراط صغيرة من الذهب كانت هدية والدتها رحمها الله وتلف شعرها بمنديل أحمر أصبح لونه شاحبا من كثرة الغسيل وتنورة زهرية بلون الياسمين التي لا تملك إلا واحدة غيرها تغير بينهما من حين لأخر حتى لا يمل باديس من مظهرها , ثم ينظر لولده زكرياء الذي سجل اليوم بالمدرسة والذي حظي ببنطال وقميص اشترتهما له والدته من عند حفصة البائعة التي تزور الديار لكسب قوتها بعرض ما حصلت عليه من سوق الجملة وأخيرا مد بصره إلى صحون الأكل التي لم يبق فيها سوى بقايا المعكرونة وابنه نبيل الذي لم يكمل أكله بعد لأن المعكرونة ليست الأكلة الصحية له بعد أن منعه أكل العجائن .

باديس :الحمد لله على كل خير وعلى كل رزق وعلى كل حال أهلا بالفرد الجديد في عائلتي ـ تصبحون على خير.

زكرياء بعد أن انصرف والده : أمي ما بال أبي ليس من عادته النوم قبل متابعة نشرة الأخبار ؟.

الوالدة : لقد تعب اليوم كثيرا في عمله ـ خذ أخاك واجعله ينام بمكانه .

مضى أسبوع على ذلك تلقى باديس نبأ وفاة والده , فسافر إلى القرية تاركا سعيدة وولديها بالمدينة وبعد مضي أسبوع على انتهاء مراسيم جنازة والده وزعت تركته على أولاده تفاديا لحدوث مشاكل أو أزمات بين أولاده كما حدث من قبل حين عاد باديس إلى عائلته لم يخبر سعيدة

بأمر حصته من ميراث والده إلا بعد أيام وذلك عندما كان يستمع لقصة سيدنا يحي عليه السلام على لسان أحد العلماء بالتلفاز , ولما سمع اسم والدة النبي

نظر لسعيدة وقال :سأسميها أشياع.

نظرت له سعيدة باستغراب عاود الكلام :سأسميها أشياع ـ أقصد ابنتي القادمة لهذه الحياة .

ابتسمت سعيدة وقالت : وما أدراك أنها فتات ؟ ـ فلا طالما رغبت في الذكور ؟

باديس : إنها ابنتي ـ البنت رزقها من الله كما وضح ذلك نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ـ صحيح أن والدي توفي وأنا حزين لأنه تركنا ولكن كل ذلك بأمر الله ـ صاحب الأمانة ترك أمانته ـ مثلما منحني أمانة علي الحفاظ عليها وهي ابنتي أشياع ـ أتعرفين أنه تم تقسيم التركة وقد كانت حصتي مقدرة بمبلغ مالي سيمكنني من شراء دكان صغير وكذلك شاحنة صغيرة لنقل مختلف البضائع بالإضافة إلى قطعة أرض أدت إبقاءها على حالها ضمانا من غدر الأيام.

سعيدة :الحمد لله لقد فرج الله همك ,لكن ألا تجد أن اسم أشياع غريب وغير متداول ؟.

أجابها : أولا فرج الله همنا معا فأنت كذلك أخذت نصيبا كبيرا منه وثانيا أشياع والدة النبي يحي عليه السلام أحد الرجال الكرام عبر تاريخ البشرية وهذا الاسم لزكية طاهرة في ذلك الزمان وأشياع اليوم ستكون

ابنتي وظلي في الحياة وبهجتي عبر الأيام ستكون إنسانة فاضلة تصل إلى أرقى الأماكن والمراتب التي لم أصلها طيلة حياتي مادمت لجانبها.

على هذا الحلم وعلى هذا اليقين مرت الأيام والشهور فزارت أشياع هذه الحياة مالئة حياة والها بالنور والحنان والدلال لم تحتفظ بهم لنفسها بل تتقاسمهم زكرياء ونبيل ومصطفى الذي ولد بعها لتمضي السبع سنوات من عمرها .

في يوم من الأيام كانت أشياع رفقة نبيل ومصطفى يلعبون في فناء الدار لعبة تقوم فيها بدور الطبيبة حين تفقدت حقيبتها وجدت أن حبات مسكن الألم لم تعد متوفرة وطلبت من مصطفى أن يذهب إلى الصيدلية ويحضرها بعد أن أعطته النقود طالبة منه عدم التأخر لأن المرضى ينتظرون . خرج مصطفى لكنه لم يعد مضت الدقائق والساعات حتى أن الليل قد أظلم ومصطفى لم يأتي الجميع يبحث عنه ما من أحد وجده فاتصل باديس بالشرطة لكنهم لن يباشروا البحث إلا بعد أربعة وعشرون ساعة عن غيابه .

مر يوما عن غيابه أشياع لشدة الذعر والبكاء أصيبت بالحمى وبقيت طريحة الفراش .لكن لا أحد يعلم أن سبب اختفاء مصطفى غلطة صغيرة ارتكبها والده وهو يراهن بمبلغ كبير في لعبة القمار وقد كانت المراهنة الأولى في حياته لأن الأمر اتضح حين أرسل الخاطفون رسالة يخبرون فيها باديس بالمال الذي ينبغي أن يدفعه وقد أرسلوا مع تلك الرسالة الحبوب التي اشتراها مصطفى من الصيدلية التي كانت مجرد قطع حلوى صغيرة من الحانوت تجعل منها أشياع دواء لمرضاها دفع باديس المال لأصحابه بع أن باع الشاحنة الصغيرة عاد مصطفى إلى الدار , لم يقوموا بأذيته .

حكا مصطفى لأخوته أنه كان رفقة مجموعة من الأطفال بمثل سنه وفي تلك الساعات يأخذون طفلا ولا يرجعونه أبدا وحين يسألون عنه يخبرونهم أنهم قد أعادوه لأهله , وقد كنا نسرق النظر من النافذة فنجد أنهم يضعون الطفل الذي أخرجوه في كيس أسود وهو نائم . مصطفى الغير لم يكن يفهم لكن سعيدة فهمت ما كان يحدث أمامه ما جعلها تقطع خيط الأمان بينها وبين باديس مصرحة له أنها تفديه بروحها إن تطلب الأمر لكن لا ينبغي أن تمس شعرة واحدة من أولادها.

بعد مضي شهر من تلك الفاجعة اعتزم باديس أ يكتب كل ما تبق له من أملاك على اسم سعيدة ليقينه أن العصابة لن تتركه وستستمر في الإيقاع به , لكن الأمر من كل ذلك أن باديس اختفى ولم يعد له أي أثر سوى رسالة كتب فيها أن باديس لم يعد موجودا وكانت الرسالة رفقة معطفه والوثائق التي لم تعد مفيدة بعد أن تنازل باديس عن أملاكه لسعيدة , تضاربت الإشاعات حول اختفاءه فهناك من يقول أنه قتل على هؤلاء الأشخاص الذين خطفوا ولده وهنا من يقول أنه رحل بملء إرادته بعد الذي حدث لولده , ولربما لقي مصير هؤلاء الأولاد الذين شاهدهم مصطفى أي تم بيع كل أعضاءه.

بعد سنة من اختفاءه أغلق ملف القضية وأصبح باديس من المفقودين تارة وفي عداد الأموات تارة أخرى وفي تلك الفترة حدث زلزال بالمدينة أودى بحياة الكثيرين , فدون إخوة باديس اسمه في قائمة ضحايا ذلك الزلزال الذين لم يتم العثور عليهم حفظا لماء الوجه بحجة أنه قد اتصل بهم سويعات قبل حدوث الزلزال بأنه عائد إلى الديار ودلك لأنه نزل إلى تلك المدينة لأجل كسب القوت وذلك لأجل المنحة التي ستقدمها الدولة لإعالة أولاده . وأجبرت الألسن التي تعرف باديس والتي

لاتعرفه على قول ذلك , وطمرت حقيقة باديس عن الجميع لكن أشياع بقيت تنتظره وتجعل له موقعا في كل لحظة من لحظات حياتها وأخذت تسعى لتحقيق حلمه لكنها لم تكن تعرف أن قلبها ضعيف وشخصيتها بدأت تحول وتختفي لدرجة جعلتها تنفصل عن الواقع الذي تعيشه مستحضرة والدها لجانبها وتأخذ تحكي له كل الذي يحدث لها وقد انهارت أعصابها وقد أخفت عنها والدتها ذلك

نجحت بشهادة التعليم الثانوي وننتقل تالي الجامعة لتدرس الطب لكن نفسيتها المتعبة للظروف التي مرت بها جعلت عائلتها تغير تخصصها إلي التاريخ.بدء الموسم الجامعي فاستقرت أشياع بالإقامة لبعد مدينتهم عن الجامعة

وفي هذا الميدان بدء حلم والدتها يندثر لأنها سلكت طريق أخر غير الذي رسم لها .فحين انتقلت إلي الجامعة انتقلت إلي أفق فيه بصيرورة عجيبة متواصلة في التنافس في شتى المجالات حتى وان كان هناك أمور سيئة بهذا التنافس المهم القاعدة التي كانت صالحة للاستعمال "البقاء للأقوى " وفي ظل ذلك تعرفت إلى رفيقات هن معها في السكن وقريبات من موطن سكنها في المدرسة. كن طيبات ومؤدبات لا يتركنها بمفردها أبدا فهي الرفيقة المحبوبة لهن , فعرفنها لمداخل ومخارج الجامعة وكذا الإقامة والقواعد والأسس المتعارف عليها وانه لا وجود لطريقين في ظل ذلك يمكن أن يسيرهما الإنسان معا في آن واحد أو طريق وسط بين هذا وذاك لأنهما طريقان متعادلان في قيمتهم التاريخية في صراع الإنسان لأجل البقاء طريق الخير ورضي الله وطريق الشر وغضب الله

لكن أشياع أرادت أن تسلك طريقها بمفردها وتعرف ما تختار بدأت تتعرف لرفاق من كلا الجنسين وخطوة بخطوة حتى سلكت أول الخطوات بيسر وأمان واختارت من بين من تعرفت لهم صديقة اسمها لبنى وجعلت منها خليلة ترافقها في كل لحظات حياتها بالجامعة لأنها كانت فتاة طيبة متواضعة الهندام, لبقة التصرف وحسناء هادئة متوارية عن الأنظار كل الذي يهمها في تلك الجامعة دراستها وغرفتها بالإقامة ولحظات الفسحة مع أشياع

أحبتها أشياع لأنها وجدت برفقتها الأمان والطمأنينة خاصة وأنها كانت تجدها إلي جانبها في لحظات ضعفها وانهيارها عندما تتذكر والدها ولم تكن تخبر أحدا عما كان يحدث لأشياع

ذات يوم بينما كانت لبنى ترتب أشياءها سقطت صورة على الأرض فتناولتها أشياع وقدمتها لها دون أن تنظر لها أمسكتها لبنى متأملة إياها بعيني صبية صغيرة تفتقد لمنبع الحنان والعطف في حياتها ثم نظرت لأشياع وأرتها الصورة

وقالت:أشياع أتعرفين من هذا ؟إنه حمزة الضابط الناجح بين أصدقاءه في الحي. إنه أخي الكبير الذي لطالما حملني وأنا صغيرة واختارني طفلته المدللة بين أخواته .

نظرت أشياع للصورة وقالت : إنه وسيم ويبدو عليه هندام الشرطي.

لبنى : سأضعه هنا على الطاولة لأراه كل لحظة وأنا بالغرفة مسلمة على محياه كل لحظة.

حين وضعت لبنى الصورة على الطاولة لم تدرك أنها وضعت نقطة تحول في حياة أشياع فقد تعلقت بحمزة من خلال الصورة ورسمت ملامح حركاته وتصرفاته من خلال حكايات لبنى عنه ’ لتجعل من تلك الصورة متحركة مفعمة بالحياة , فحين تستيقظ لبنى وتلقي تحية الصباح على حمزة تستحضره أشياع وتبتسم له دون أن تشعر لبنى بتلك الابتسامة.

وعندما كانت لبنى تحكي عن أخيها حمزة تشير لها أشياع بأنها تتشوق للتعرف على هذا الخ كامل الأوصاف مكررة ذلك عدة مرات حتى صرحت لها لبنى في رغبتها في أن ترافقها لرؤية حمزة في الزيارة المقبلة.

وقد كان ذلك , التقت أشياع حمزة وتمكنت من التعرف عليه عن قرب من خلال زياراته الموالية , بعدها صرح حمزة لأخته لبنى في التعرف عليها أكثر لأنها نالت رضا قلبه وإعجابه , لم تتردد لبنى في مد جسر التواصل بينهما وبمساعدتها نشأت قصة أبطالها حمزة وأشياع كانت ترسم خطوطها وتخط حروفها وتشكل نقاطها وتختار ألوانها لبنى . قصة حب ليست بحاجة إلى أن توصف أو تخط تفاصيلها لأنها كقصص الحب المألوفة لكن المهم في الأمر أن حمزة استطاع أن يبعد شبح الوالد واختفاءه من ذهن أشياع , حتى أنها لم تعد تزور طبيبتها ولا تتناول أدويتها لأنها لم تعد بحاجة لذلك .

استطاع حمزة أن يحقق ما لم تقدر عليه عائلة أشياع حتى مع حبهم وعطفهم ودلالهم كل الذي يهمها هي الشمس التي أشرقت يقلبها بعد أن غربت لسنين فحمزة أصبح الأب لها من حكايات لبنى والحبيب والزوج

المستقبلي لها من خلال كلامه ووعوده , حتى أنه أخذ لبنى في إحدى عطل السنة لرؤية المنزل الذي اشتراه بالمدينة التي يعمل بها فأخذت له صورا من كل زاوية وقدتها لأشياع لأجل أن تختار له الأثاث الذي تريد .

حين رسمت أشياع شكل المنزل بذهنها وهندسته من الداخل والخارج حسب رغبتها وطموحها كانت قد مرت سنتين وقرب موعد تحقيق الوعود . لم تعرف أن هناك ما يطبخ ضدها وضد حلمها وأمانها فقد كانت هناك أخت أخرى لحمزة تقيم بنفس الإقامة الجامعية كانت تتابع حركات أشياع ومخططات لبنى وحمزة , وبطريقة ما استطاعت أن تطعن الثلاثة وتدمر علاقتهم حلين توجهت لأهلها وأخبرتهم أن أشياع مجنونة حسب مفهوم الجميع عدى حمزة ولبنى , مشوهة شفافية وطهارة أشياع وعائلتها أخذت بعين الاعتبار الإشاعات التي قيلت عن اختفاء والد أشياع وبقائهم بمفردهم بالمدينة, رغم أن أعمامهم طالبوهم بالعودة إلى القرية وقد نجحت فعلا فقد فرض الأهل الإعدام على كل تلك الأحلام التي جمعت الثلاثة معا. حمزة في لحظة ضعف ما على ما يبدو تزوج من كوثر صديقة مروى التي دمرت كل شيء جميل ,ليس لشيء سوى لأن حمزة اختار لبنى لتكون طفلته المدللة لأنها الطيبة الهادئة منذ الصغر , ومروى المشاكسة التي تؤذي كل من حولها , وما زاد الطين بله الجمال الذي منح لأشياع وهي صديقة لبنى التي لطالما حظيت بكل ما هو جميل .

انكسر قلب أشياع وتمزقت كل الأحلام وانفجرت بداخلها رغبة تفجير نفسا ومن حولها , فقطعت صلتها بلبنى على اعتبار أنها مسئولة على ما فعلته أختها , لكن صلتها بحمزة لم تقطعها لأنه كان يتصل بها كل لحظة

فاستغلت الوضع لتعذيبه وتعذيب كوثر فأرغمته على عدم نسيانها ولا ميله لزوجته وأن لاتكون له علاقة بها مبنية على الحب والتكامل ولحقارة الرجل الذكر الذي في داخله والذي لا تكفيه لعبة واحدة كان يمارس طقوسه الذكورية مع زوجته ثم يتركها وحيدة في سريرها تصارع خواء الوسادة وتلملم جسد يستباح كل ليلة لغريزة حمزة دون عواطفه, ويذهب ذاعنا لهوس الحب إلى أريكة غرفة الضيوف ليبيح نفسه لرشق غل أشياع الذي كان يوما يقال عنه حب وهو الآن يراه كذلك لكنه لا يعدو أن يكون غير اشمئزاز لروح صافية دنسها. ولطالما تركها مثل بيت الوقف عند أهله وقوفا عند طلب أشياع بعد أن تنازل عن البيت كهدية للبنى .

عيادته لأهله كانت تطول لأيام ومرات لشهر أو أكثر وحين يقدم على ذلك يمضي ليلة واحدة ويغادر الصباح الثاني وتلك الليلة كانت كغيرها تمر على كوثر جحيم هجر لا يطاق حتى أنها أصبحت تطالب بالطلاق ,وقد كان حمزة ينتظر طلبها ليحققه ويعود بذلك لأشياع لكنها لم تدعه يفعل ذلك.

عادت أزمة الوالد الذي اختفى واستوطنت من جديد داخل أشياع وهذه المرة اعتمدتها أشياع لجذب الاهتمام , مغيرة هندامها إلى أشياع المتبرجة محبوبة الرجال لأنها باتت كاملة الأوصاف لأخذ القلوب وتحقيق الرغبات الشبانية لكن لم تكن صادقة مع أحد فيهم على اعتبار أن الجمع يستحق ذلك.

وبهذا ماتت العفة والطهارة التي رسمها باديس بشخص ابنته أشياع ماتت البراءة التي أحبها حمزة ومات الصدق والأمانة التين أحست بهما لبنى رفقتها حتى أن أهلها لم يقدروا على احتواء ألمها.

في أحد الأيام اتصلت بها كوثر وأخبرتها أنها تنتظر طفلا يشارك حياتها وحمزة وأن عليها أنتطلب منه التراجع عن أمر الطلاق وأمره لها بالإجهاض ,وأن تبعد طيفها عن حياتهم.

اتصلت أشياع به وصرحت له بما كانت تخبئ بداخلها من حقد وغل اتجاهه واتجاه كل من سار في ذلك الطريق معها , وأنها لم تفكر في العودة له حتى وإن طلق كوثر لأنه غدر بها في أول الطريق وأن عليه أن يعود لكوثر التي لم يتركها أصلا ويعتني بابنه لأنه ربما هو الحقيقة الوحيدة في حياته , لأنه لا وجود لمكان في قلبه يقطنه الجبناء وبهذا قطعت صلتها به.

وأما سر ركوب أشياع فهو إما الموت غرقا واللحاق بوالدها ففي السماء لأنه لو كان في الأرض لظهر في حياتها أو على الأقل أرسل رسالة تدل على أنه لا يزال على قيد الحياة ’ لأنها أجبن من أن تحاول الانتحار بمفردها .ركبت أشياع القارب وقوفا عند رغبة صديقها عمر في خوض مغامرة لا تنسى على متن القارب لأنه من الناس الذين يساعدون الشباب على ركوب القارب للانتقال إلى الضفة الأخرى , أخذ منها مبلغ المال منذ أيام وهو مبلغ لشخصين أي لعمر وأشياع وهو غير موجود بهذا القارب لربما هو في القارب الأخر .

هذه قصتي يا أخي جمال والذي رسم طريقي على أساس أني جوهرة غالية ونادرة لكنه تخلى عني في وسط الجواهر المزيفة الصلبة بينما كنت لينة هشة سهلة لمهب الريح تركني ولم يمنحني الدعم فدمرت حلمه لأنه لم يرسم لي طريقا صادقا ولا أرضية صلبة.

الموجة : أتدري يا صقر أنه لم يكن هناك قارب أخر, وكأن حظ أشياع في الحياة أن تلقى الناس السيئين فقط ـ ولو أنك تدري ما الأمر والذي والحمد لله لم تكتشفه أشياع , وهو أن الرجل الذي نظم لهذه الرحلة وغيرها من الذي مضى وسيمضي كان والدها .

صقر :ماذا ...لا يمكن ؟.

الموجة :نعم ...لقد أمسك بذراعها محاولا منعها لكنه جبن حين نظرت إليه متسائلة دون كلام بفعل ...جبن لأنه لم يقدر على أن يقول لها لقد قرأت اسمك عند عمر جبن على إخبارها أنه يتمتع بالحياة في حصده لأرواح الآخرين جبن عن إخبارها أنه والدها .

صقر : وأنا أصغي لحكايتك عن هؤلاء الضحايا أستغرب بأن يكونوا من هذا البلد الهادئ لأن الجزائر بلد صلب لا يصدق الإنسان أن فيه كل هذه الشاعر المرهفة والردود القاسية الجبارة وهذه الدموع وهذه الأحلام . لقد اعتدت أن أسمع على بساطتها وهدوء شعبها في الأخذ بمعالجة الأمور ومعايشتها فلم أشاهد في حياتي ـ عدا ثورة التحرير التي قام بها الآباء والأجداد ـ كلاما مسترسلا في المشاعر والأحاسيس بين الأب وابنته والزوج وزوجته , حتى العشاق إن تبادلوا الكلمات فهي قليلة هاربين في مجملها إلى الألفاظ الأجنبية , لأن هذا الشعب العظيم أمن بالحب الفطري بين أفراده واثقين منه راضين به وما عداه فهو الكتب والمجلات .

حقا إنهم أبناء المليون والنصف مليون شهيد ,الذين أرادوا عشق الوطن فاندلعوا وأعادوا تفاصيله إلى مواقعه بين قلبهم .لكن يا حسرة على ما يبدو أن الرائعين من أبناء هذا الوطن يركبون القوارب .

دمية أمل

بعد أن أكملت أشياع قصتها وعادت لتتوارى عن الأنظار في محلها المكشوف بدأ إياد في سرد تفاصيل قصته .

أياد شاب في الثانية والعشرين سنة شاب متوسط القامة ذو رأس أصلع منذ أيام قليلة وعينان بنيتان اعتزم على إخفاء بريقهما الطيب والشفاف بجعلهما خاملتين لا ترغبان في تصفح ملامح البشر ليواريا بين أجفانهما مآسي وأحزان خلفهما عدم المسؤولية وكان بجانب من خده الأيمن شامة كبيرة يبدو أنها ولدت معه وضحها اصفرار وجهه الذي سحب منه الدم وتجمع في جهة ما من جسده .

بدأ يسرد قصته وهو يلاعب عروس القصب:

كان هناك طفل صغير في عمر السنة اسمه إياد الابن الرابع في عائلة جليل هذا الأخير الذي كان قدأخذ إياد وإياه لبيت أخيه في إحدى الزيارات من أجل عيادته وزوجته بعد إنجابها المولود الأول في أسرتهما و الذي كان طفلته اسمها سامية و بينما كان إياد بجانب والديه يلعب برضاعته تارة وبالكرة الصغيرة التي اشتراها له أخاه الكبير منذ أيام أعلن جليل لسالم عن رغبته في- -أن أيطلب يد سامية إلى إياد وما كان علي سالم إلا أن يوافق كلا العائلتين لم يأخذ الأمر على محمل الجد ولم يدرس تفاصيله ولم يهتم لها إلا أن القدر شاء أن يكون ذلك حقيقة فقد نشأت سامية وإياد معا ونفس الحي ومع نفس الأصدقاء الذين كان معظمهم إخوة إياد مع نفس الأحلام و معا في نفس الطريق بدأ إياد وسامية يكبران وهما يصغيان لمن حولهما بأنها خلقا لبعض.

بدأـ سامية تزداد جمالا و روعة وبأت الأنثى تظهر للجميع , سامية الشقراء المبتدعة لأنها بالفطرة سمراء لكنها تمكنت من تغيير ملامحها فأصبحت صاحبة الشعر الأشقر الطويل الممتد إلى خصرها وتفاصيل جسم معتدل القامة منذ أن كانت صغيرة وهي كذلك خاصة وأنها من اللواتي يتبعن حمية طبية بسبب خلل في أمعائها مما أعطى لاسمرارها نظارة شاحبة لكنها جميلة لجمال روحها.

عمر السابع عشر أصبح إياد وفي هذا العمر ازداد التعلق بينه وبين سامية مما جعل قصة حب تنشأ حسب أحلام المراهقة التي جعلت منهما يتعاهدان بالحب الأبدي وأنهما سيعشان معا الفرح والحزن حتى أنهما بدأ يخططان لعدد أولادهما وأسمائهم وفي ظل هذه الغمرة المنفعلة التي أوهمتهما أنهما قادران على تحمل المسؤولية وأنه لا يمكن لأحد أن يعارضهما لأنهما في الأصل خلقا لبعضهما كما تقرر منذ زمن , وعم متابعة الأهل لكليهما ومراقبتهم الصارمة في هذه المرحلة وتركهما بمفردهما لأوقات طويلة خارج المنزل وداخله ,ارتكبا الخطأ الذي قلب الموازين وفرق التواصل والتلاحم , خطأ قالا عنه في لحظة القرار أنه الصواب ومامن أحد سيعارض خطأ ضنوا أنه بداية للحياة السعيدة فتزوجا لكن ليس وفق معايير الدين والمجتمع بل وفق معايير المجانين السذج على اعتبار أن السماء والنجوم شاهدين على زواجهم .

ونتيجته أن سامية أصبحت تحمل في داخلها ثمرة حبهما , حتى أنها لم تدرك ذلك إلا بعد أن أغمي عليها ذات مرة فنقلت إلى المستشفى وبعد التحاليل أخبروا والدتها أنها سترزق بطفل . أخذتها الوالدة بهدوء إلى المزل وهناك تلقت سامية أبشع تعذيب في حياتها بدايته على يد والدتها التي فعلت ذلك بدافع الخوف على ابنتها تارة وخوفها من زوجها تارة

أخرى . وكذلك لتعرف من هو والد الطفل , وحين أخبرتها أنه إياد خارت قواها وجلست بجانب من الغرفة تسترجع أنفاسها وهي تسب وتشتم إياد وكذلك والدته للأنها لم تجد تربيته , لكنها سرعان ما تعود لنفسها وتعرف أنها هي الأخرى لم تجد ذلك .

بعد الوالدة يلأتي دور الوالد الذي هو الأخر طبعا لم يرحمها أوليست فرصة ليمارس طقوس الأبوة التي هي شبه منضحلة في حياته , حتى أنها تعرضت على يده إلى كسر بذراعها وجروح بجسدها , لكن الطفل أبى النزول لكن غضب الوالد نزل إلى لسانه وأعلن غضبه عليها وأنه متبرئ منها إلى يوم الدين وأنه لا يريد رؤيتها بالمنزل أبدا لأنه من هؤلاء الآباء الذين لم يتعلموا تحمل المسؤولية واحتواء حياة أولادهم بأخطائها من كل جوانبها , فمهمته لا تتجاوز توفير السترة وشيء من الزاد والتوجه إلى الطبيب عند المرض وإلى القبر عند الخطيئة .

وصل الخبر إلى عائلة إياد لعلهم يسارعون إلى تزويجهما درأ للفضيحة ,لكنهم رفضوا على اعتبار أن إياد لا يزال صغيرا ونهم لن يتحملوا مسؤولية الولد وعليها إنزاله.

فما كان على إياد وسامية سوى الهرب من الحي والعيش بمنزل منحته لهما خالة إياد بحي أخر, وبذلك بدأت العداوة بين الأسرتين وقطعت صلة الرحم التي كانت على شفى حفرة من النار ,ولم يكن يزور المسكينين سوى أخت سامية الصغيرة وهي ذاهبة إلى المدرسة ووالدتها التي كانت ترسل مع خالة إياد بعض الحاجيات هذه الإنسانة التي كانت ضحية ظلم الأهل في زمن مضى لأنها هي الأخرى قد عاشت قصة حب مع خال سامية عمر رحمه الله .

الحقيقة في عدم اعترافهم بالحب ليس لرفضهم إياه فقط بل لأنه أتى دون تخطيط منهم ولأنه أعلن ظهوره دون أن ينذرهم أو يستشيرهم .

عمر الذي كان جنديا بالجيش هو الحب الذي لأجله تحدت خالة إياد الجميع وأجبرتهم على القبول بزواجها لكن انتصارها لم يكن كاملا فقد ترملت هبة بعد شهر من زواجها , بعد أن استشهد عمر في إحدى مهامه بالجيش , لم يرض أهلها بالعودة إلى المنزل , فلم تعرهم اهتماما وبقيت تعيش بمنزل زوجها رحمه الله تربي ابنه وليد وتعيش براتبه الذي لم تقطعه الدولة عليها كليا.

مضى الشهر والشهرين والسنة والسنتين وأصبح لإياد وسامية طفلة صغيرة سمياها أمل على أمل أن تعود الحياة لنصابها , لأن سامية المسكينة عانت كثيرا أثناء الحمل لأنها لم تجد من يوجهها ويرشدها ولم تجد من يمسك بيدها وتهون عليها ألام المخاض والولادة . عندها تيقنت مقدار الجرم الذي ارتكبته وإياد وقد تمكنا من الزواج بعد أن بلغا السن القانونية وذلك عندما بلغ عمر أمل الثلاث سنوات رق قلب العائلتين فطلبا من الأسرة الصغيرة العودة إلى كنفيهما , لكن والد سامية لم يكن يكلنها وصرح لها بأنه سيعتبرها دائما مجرد أثاث بالبيت ولا علاقة له بها في هذه الفترة فصل إياد عن سامية حتى تتم مراسم الزواج حسب العادات والتقاليد , وكان أن تم الزواج بعد شهرين ليفضلا بعد ذلك العودة إلى منزلهما , وبذلك المنزل كانت قد انتهت حكاية وبدأت حكاية أخرى مليئة بالألم والقهر والأنات.

ذات ليلة من الليالي أصيبت أمل بحمى وألم لا يمكن للإنسان الكبير تحملهما فأخذها إياد في صباح اليوم الموالي إلى الطبيب فشخص حالتها

بأنها مجرد حمى عابرة تصيب الأطفال في مثل عمرها وسرعان ما ستزول عند تناول الأدوية التي وصفت لها,

وقد كان ذلك تماثلت أمل للشفاء, لا كن سرعان ما عاودها المرض بعد أشهر من ذلك لكن هذه المرة صاحب الألم والحمى سعال شكل متقطع وكان الأمر نفسه أخذها إياد إلى الطبيب وتم فحصها ثم تدوين لائحة من الأدوية ومبلغ من المال على إياد وضعه وعند تناولها الدواء تتماثل صحتها لشفاء لكن سرعان ما يعود المرض مصاحبا لأعراض أشد من التي سبقت . إياد وسامية صغيران ولا يعرفان شيا عما قد يصيب الأطفال فلا يجيدان أمرا سوى أخذها كل ما مرضت إلى الطبيب الذي كانا يغيرانه كلما عاودها المرض راضين بما يقدمه من نصائح وإرشادات على اعتبار لأنها أصبيت بأزمة برد لقلة الحال عندهم , حتى هنا لم يهتم الأهل بحال مرض أمل .

مضى عامين وأمل تزداد صحتها سوءا , الغريب في الأمر أن أمل كانت مثل الملاك الذي نزل للأرض لجمالها وبراءتها , لم تفكر يوما في أن تكون كثيرة البكاء والمشاغبة بل كانت هادئة تتمايل في هذه الحياة وكأنها فراشة تطير من زهرة إلى زهرة مرورا خفيفا بين قلوب البشر لا تترك أثرا ألا للهدوء وبشرى الخير في معمور اتهم , لكن الأهل لم ينتبهوا لها يوما.

ذات مرة وهم عائدون من عند الأهل طلبت أمل من والدها حملها على رقبته لأنها اشتاقت لذلك , وقد كان ما طلبت فقد حملها على رقبته وهو يلاعبها بدغدغة قدميها تارة وتارة مغمضة عينيه لتدله هي على

الطريق كان ثلاثتهم سعداء لأن ضحكات أمل كانت تحجب أصوات الدنيا حولهم وحين لمحت أمل أشجار القصب أشارت لوالدها نحوهم.

أمل :ـ أنظر أبي إلى تلك الأشجار ـ أريد غصنا منها ـ أنزلني.

إياد : ولكن يا أبي ماذا تفعلين بها ؟

أمل : أنزلني وسترى.

أنزلها إياد برفق , لتسرع نحو أشجار القصب لكنها صغيرة ولا تصل إلى أعلاها , فهمت سامية مقصدها.

سامية :لا شك أنها تريد تشكيل عروس.

حين مد كل منهما أيديهما ساحبين غصنين مختلفين , أمسكتهما أمل.

أمل :أنت يا أبي غصنك لا يصلح ,أنظر لغصن أمي وماذا سأصنع به.

أمل:تشكل أوراق الغصن الطويلة جاعلة منها شعر دمية لتتمكن بعدها من ظفر جديلة جميلة .

أمل :أمي أنت أحضرت الغصن وأنا تفانيت في تشكيله ليكون من نصيب أبي ,لأنه لم ير دمية القصب من قبل لعله يتعلم صنعها في المستقبل.

إياد ـ بعد أن انحنى لأجل حملها ـ : لست بحاجة لأن أتعلمها ولي أميرة ذكية تصنعها لي دائما وبدماها الجميلة سيكون لي محل كبير .

أمل : هذه الدمى لا تصنع للبيع يا أبي.

إياد : ولما إذا ؟

أمل :أخبرتني خالتي هبة ذات مرة أنها تصنع تعبيرا عن الحب فتقدم لذلك ولا يجوز بيعها.

توقف إياد عن المشي ونظر لسامية

إياد : إنها إكسير الحياة ياسامية ولن أجد لها محلا إلا بين الملائكة .

سامية :بل إنها عاثرة الحظ لأن الذين كان ينبغي أن يروها لم ينحنوا يوما ليسلموا عليها .

إياد : سحقا لهم جميعا هي ابنتي ولا يهم غير ذلك.

في حدود منتصف الليل من ذلك اليوم بدأت أمل تصرخ وتبكي من الألم على غرار تلك المرات ووالديها لم يعرفا ما يفعلانه سوى محاولة اخفاض الحرارة بالكمدات والماء البارد وإعطائها بعض الأدوية التي بقيت لها لكن وفي حدود الساعة الثالثة صباحا أصبحت أمل تتقيأ قطرات دم جراء السعال المتواصل وأنفاسها تتقطع لم يجد الوالدين ما يفعلانه سوى أنهما حملا ابنتهما وخرجا إلى الشارع بحثا عمن ينقلهما إلى المستشفى وذلك بعدأن اتصلا بالأهل لكن ما من مجيب على الاتصال ولأن رحمة الله واسعة كان أحد الجيران عائدا من عمله في ذلك الوقت فترجياه المساعدة تخاذل قليلا في البداية لكن سعال أمل الذي كان عبارة عن مضخة لدموع والديها , كلما زاد سعالها زادت دموعهما وحسرته , فجعل ينطلق بسرعة إلى المستشفى.

أمل:ريق كانت أمل تكف عن السعال وتعود روح الحياة لها وحين تلمح دموعهما تمد يديها الصغيرتين لمسحهما .

أمل : أبي أمي أنا بخير ـ أنا بخير ـ لنعد إلى البيت لأنا م بينكما ذلك هو دوائي لأنني أشعر بالبرد فقط .

الوالدين : أجل يا أمل ـ أجل ماما ـ أكيد سنعود يا أبي سنزور الطبيب ثم نعود .

عندما لا حظت أمل قطرات الدم على قميص والدها .

أمل : من أين هذا الدم ؟ ـ هل آذيت نفسك ؟

أجاب الوالد بعد صمت :أجل يا ابنتي لكنه جرح بسيط لا يقارن بما يزعج أميرة حياتي.

وحين وصلوا إلى المستشفى كان خاليا من الأطباء الرئيسيون وليس هناك سوى الإسعافات ,فكان عليهم انتظار الأطباء .في تلك اللحظات كبر إياد وسامية عشرين سنة , توجه إياد إلى القبلة مصليا ركعتين لأجل ابنته وظل على ركبتيه إلى صلاة الفجر وأمل لازالت تعاني , عندما أتى الطبيب ودخل مكتبه لحقه إياد حاملا أمل , راجيا الطبيب إسعافها لكن ذلك الطبيب لم يأبه لصراخ أمل واستنجاد والديها في تلك اللحظات , ربما كان نظر الطبيب عاديا كسائر الأيام لكن بالنسبة لإياد الذي لم يعرف معنى الدموع إلا مع أمل , ولا معنى الغضب إلا لأجلها ,كان ذلك الطبيب وحشا لا يطيق أي كيان إنساني رؤيته , وحش أخذ يلبس مئزره بهدوء ينظم أشياءه طالبا من إياد وضع أمل بالسرير في هذه الأثناء اختفى دور سامية ليس لأنها غير موجودة لأنها في لحظات مثل هذه تتذكر خطيئتها التي غيرت مجرى حياتها , تحمل نفسها كامل المسؤولية لأنه لو لم يحدث ما حدث منذ سنوات لما اضطرت أمل أن

تنال كل هذه الألأم حتى وإن أرادها الله ابنتهما لكانت لحد الساعة في مهدها في بيت أنشأه ناضجين ,. فتقف مصدومة في بهوت تام تنتظر فرج الله.

حين وضع إياد أمل على السرير أخذ الطبيب يفحصها فحصا يفحص عادة في دوريات الفحص بالمدارس , لكن إياد يذكره على الحال الذي كانت به والذي هي عليه الآن , لكن الطبيب لم يكن يرى شيئا ولا يصغي لأحد ثم توجه إلى مكتبه وجلس ليتناول قلما وورقة مباشرا في كتابة وصفة , بينما أخذ إياد يعدل ملابس أمل ويضمها لصدره.

إياد : ستكون ابنتي يخير ـ ستشفى ولا يهم عدم مبالاة الأطباء بمرضها ولو اضطررت إلى أخذها إلى أخر العالم .

أمل كانت لا تفك ترمي رأسها على صدره وهي تهذي بكلمات غير مفهومة ولا يسمع منها إياد إلا لحن الألم الذي ينهش عظامها , كان حينها قد رفض الاستماع إلى كلام الطبيب الذي يقوله إلا حين أخبره أن يأخذ هذه الرسالة ويأخذ ابنته إلى المستشفى الكبير بالمدينة لأجل الفحص الشامل والعناية الدقيقة .

إياد : لكن لن تتحمل الصغيرة بعد المسافة فهي تعاني منذ ساعات ؟

الطبيب :ماذا أفعل لها ؟ خذها إلى المستشفى ودعك من النقاش الفارغ.

تناول الطبيب هاتفه متصلا بصديقه محددا وإياه موعدا بإحدى المقاهي لتناول الفطور غير مبال البتة بحال أمل .ثارت ثائرة إياد لأنه لحظتها أراد أن يقول بأنه ذاق ذرعا بعقوبة البشر له على خطيئته التي غرها الله ومنحه ملاكه أمل , مرتميا على الطبيب محاولا خنقه.

إياد : إنها أمل ألا ترى ـ إنها البراءة التي تموت كل يوم بسبب استهتاركم ـ أين عزة الطبيب وتفانيه في العمل ـ أين أنتم أيها البشر ـ سحقا لكم ـ لعنة الله عليكم.

تتدخل مجموعة من سلك التمريض وكذا رجال الأمن , ولم يقدروا عل فكه إلا بعد أن ترك إياد أثارا بالغة لأظافره برقبة ذلك الطبيب لعلها تبقى للأبد لتذكره بجريمته . بينما إياد فقد تم أخذه إلى مركز الشرطة ولم يطلقوا سراحه إلا بعد يوم كامل وذلك بعد أن أتت زوجته مخبرة إياهم أن ابنته قد ماتت وعليه حضور جنازتها.

ذهب إياد إلى منزله على أمل أن يرى أمل بخير , لكنه حين وصل وجد بيته مليئا بالناس , نظر لسامية وجدها تذرف دموعا لم تذرفا طيلة الطريق , علم إياد حينها أن أمل قد رحلت دخل المنزل بخطوات متثاقلة ليرى أن كل العيون توجه خطواته إلى الغرفة التي بها أمل قد غسلت وكفنت وهم ينتظرونه لدفنها, قد فعلوا ذلك بسرعة إكراما لها لكن ما ضرهم لو أنهم سارعوا لإنقاذها من ألم يوما لتكون في غنى عن الكفن ولا ندري إن أقدموا على الانحناء لها وتقبيلها مودعين ولكم أراد إياد في خطواته تلك أن يقتلع قلبهم ويرى إن تنبهوا بحب يوما لوجود أمل بينهم أم أنها حقا غير مرئية إلا لوالديها.

دخل للغرفة وأغلق الباب مقتربا من أمل ليحملها بهدوء ز

إياد : أمل عمري ـ يا أبي أين تذهبين ـ لن تجدي هناك من يلعب معك ويحملك على رقبته وتصنعين له الدمى من أغصان القصب ـ سامحيني بابا لأنني لم أكن أهلا لحبك لأنني لم أقدر على العناية بك وحمايتك ـ سامحيني بابا لأنني ظننت أن الأبوة تأتي هكذا.

أخذ يقبلها وهو يبكي تارة ويصرخ تارة أخرى ,دخلت سامية جاثية على ركبتيها لجانبه.

سامية : يكفي يا إياد بالله عليك ـ دعها ترتاح من همنا وأخطائنا ـ أتركها تذهب إلى موطنها موطن الملائكة بعيدا عن ظلم الدنيا وشر الناس . ـ ماتت أمل ياإياد ـ ماتت حين كنت ترتب ملابسها منتظرا رحمة الطبيب في حين أن رها لفت برحمة الرحمان ـ ماتت على صدر أعز الناس إلى قلبها .

وهكذا دفنت أمل تحت التراب وتوارى هناك أمل البراءة ماتت ابنتي بعد أن صنعت لي هذه الدمية كان يردد إياد بالقارب , وكان إياد يشير إلى دمية القصب بيده الذي به شريط صغير كان قد أخذه إياد من حاجيات أمل بعد وفاتها .

ماتت أمل لأننا أردنا ووالدتها أن نتحدى الزمان ونكون عائلة دون قادة أو أساس فقط نشوة الحب وتهورا ته ماتت أمل لجبروت وقهر الأهل, ماتت لأن الطبيب أراد الذهاب لتناول الفطور ورفيقه , ماتت أمل لأنها ابنة النية البريئة والباهتة في هذه الدنيا ماتت وهي تسعى لتخفيف التوتر الذي كانت تلاحظه بوالدها .

بعد أن ماتت أمل تركت سامية مخبرا إياها أني سأذهب إلى الضفة الأخرى لأملك المال وأعيش رجلا ,تركتها مع علمي أنها حامل في الشهر الثاني وهذه المدة تعني أنها كانت حاملا قبل وفاة أمل .

عندما أكمل إياد نظر للجميع وجدهم يذرفون الدموع.

إياد : تخيلوا أن يدي أمل الصغيرتين نزلتا من السماء ومسحتا دموعكما .

ذهل الجميع لذلك , أما الموجة فقد ذابت في عمق البحر ألما وقهرا على البراءة التي يستمر البشر في سحقها لأجل لا شيئ . عندما غادرت الموجة نظر صقر هنا وهناك فلم يجد أنه يملك طاقة لإكمال ذلك اليوم , فجعل أحدا ينوب عليه في العمل ينما ذهب إلى المستشفى الذي به الناجون من ذلك القارب وهو يجول بأروقته ينظر للناجين باحثا عن إياد لعله يجده لأنه يستطيع رسم الأشخاص بذهنه لمجرد أوصاف صغيرة قد منحتها له الموجة , حين كاد ييأس وجده بالعناية المركزة لجابه سامية وهي جالسة لجابه كسيرة الفؤاد لا أحد من أهلها رغم الذي حدث , كانت سامية كتلة من الهدوء والحنان والأحلام الراكنة في زاوية من تلك الغرفة ,

صقر لام إياد عن تقصيره في وصفها في قصته اقترب منها وسألها عن حالته فأخبرته أنها مستقرة وهو نائم وسيخرج اليوم فاستأذن منها انتظاره لم تمانع وبينما صقر يتأمله استيقظ إياد وهو يردد اسم أمل وحين تنبه لوجود صقر وبقي ينظر له .

صقر :الحمد لله على سلامتك أيوب .

إياد : عفوا أظنك مخطئ أنا إياد.

صقر : عذرا يا ولدي إياد أنت لا تعرفني ولا أعرفك لكن قصتك التي سردتها بالبحر وصلت إلي وبدون مقدمات هذا عنوان منزلي عندما تتماثل للشفاء تعال وزوجتك إلى منزلي, أنا بانتظارك أعادك الله إلى

وطنك لتجد أبا سيحبك ولن أطيل الكلام عندما تأتي سأحكي لك التفاصيل وأنا بذلك أمنحكما حياة جديدة بإذن الله تخليدا لأمل وابني أيوب .

obeikan.com

علي

أتى اليوم الرابع من اتفاقية الموجة' كان بزوغ فجر جميل بعد قطرات المطر التي هطلت في منتصف الليل ومحت الغبار الذي كان علي سطوح الأشياء وبعثت انتعاشا طيبا للنفوس المتقلبة وأحيت رغبة الاستماع الدائم للاعتراف الموجة لدى صقر الذي كان كل ماضي يوم يزداد تخمينه وتصوره للقص القادمة ليزداد شغفه في معرفة ما تخفيه بيوت الجزائر من أسرار

استقبل الموجة بابتسامة لم تعهدها فيه فسألته عن سرها فأخبرها أنه بدأ يتعلق بها وبحكاياتها وبذلك بدأت الموجة في سير القارب عرض البحر كان السرد الحكايات لا يزال قائما ليصل الدور إلي علي البالغ من العمر تسعة عشر سنة وذلك بعد أن مسح دموعه طالبا المغفرة لأمل وبدأ يحكي :

في قرية صغيرة في ضواحي سوق أهراس تم عقد قران سفيان وصفية وفق تقليد تلك القرية وبذلك بدأت حياة طيبة وكريمة بين الزوجين مبنية علي الاحترام والتقدير لتمضى السنوات ويصبح لهم ثلاث بنات وفي انتظارا لمولود الرابع وهذا الانتظار كان نقطة بداية لتحول جذري في حياة تلك العائلة , ففي فترة من الزمن شأت حالة سفيان و أصبح يرتاد المستشفيات لأجل العلاج لكن ما من دواء أخفي أعرض المرض , بل كانت حالته في تدهور مستمر مما جعل الأطباء يطلبون بقاءه بالمستشفي ليعرفوا بعد ذلك أن سفيان مصاب بمرض السرطان في صدره

صفية الزوجة المحبة والمخلصة تقبلت النبأ بقلب صابر ومستسلم لإرادة الله وأخذت تعتني به كالطفل الذي لا يملك القدرة على الاعتناء بنفسه متقاسمة معه الألم ,وجعلت بناته يغمرنه بالفرح والسرور بالمستشفى وحين عودته إلي منزله.

في ضل ذلك أسرع إخوته ووالده إلي أخذ ما يملك من أراضي وآلات وإن كانت قليلة وما إلى ذلك من الأملاك , حتى المنزل الذي كان قد منحه له والده دون أوراق , وبذلك جردوا صفية وبناتها ما كان في يوم من الأيام لها, في حين كانت الدنيا تجرد سفيان من الحياة.

حين استفحل المرض بكامل جسد سفيان خارت قواه ولم يعد يعي وجود أهله لجانبه وفي جمعة من تلك الأيام سلم روحه لخالقها وشيعت جنازته في موكب مهيب فقد كان سفيان صاحب اللسان الصادق والكلمة المهيبة والمسموعة وفي غضون لحظات أصبح تحت التراب وبذلك فقدت صفية وبناتها المعيل في الحياة مضى شهر عن وفاته لتدخل ابتسامة بريئة إلي حياة صفية رسمها مولدوها الجديد علي و هذا الطفل الذي جرم من والده فلم تكن له فرصة سماع صوت والده وهو يكبر بأذنه وهو صغير , ولا فرصة حمله علي رقبته ليعلمه طرق قريته أو أن يرافقه في المشي مقلدا إياه في خطواته وتصرفاته وكلامه أو يجلس بجانبه في جرار الحرث ويتعلم حب الأرض والفلاحة , أو لجانبه حين يكون لعبة الديمينوا ليكبر ويصبح رجلا

قسوة الأهل وطمعهم الذي يعمي القلوب جعل والد المرحوم يخير صفية بين تركها لأولادها والذهاب إلى أهلها ا وان تتزوج مرة أخرى وتترك أولدها يعيشون في نعيم ما تركه والدهم . وإما أن تأخذهم

وتتحمل مسؤوليتهم بنفسها دون أن تحصل على شيء مما تركه سفيان .

لان صفية والدة تحلت عن حياتها وجعلت سعادتها هي راحة بال أولدها وابتسامتهم الدائمة اختارت أن تظل مع أولدها وتتحمل أعباء الحياة لتبني لهم حياة أفضل وان كانت صعبة إلا أنهم بين أحضان والدتهم

وبذلك طبق الأهل حكمهم وجردوا تلك العائلة من كل شيء وحين رفضها أهلها قدم لها ولد سفيان مستودع صغيرا كان يخزن فيه المحاصيل الزراعية, فقسمته إلى غرفة نوم ووجهه للحمام وجهه أخرى للمطبخ لا يفصل بين الثلاثة سوى ألواح حطب جمعتها من الشارع.

وبهذا المكان عاشت لسنوات هي وأولدها يعانون الويلات وبدأت العائلة تكبر وحاجاتها تزداد , لكن ما من احد يفكر في إعانتهم , ورغم ما فعلته الأهل بهم إلا أنهم لم يفكروا بذلك بل لطالما استمرا في دحض كبريائهم , وكبرت حريتها ليس لشيء سوى لأنها تحدت جبروتهم لان زادها في ذلك حبها لأولادها وعم تركهم عند من لا رحمة لهم . ولطالما حاولوا كسب أولادها وإخبارهم أن الحياة عندهم أفضل من العيش مع والدتهم التي لا تملك ثمن الزاد حتى , لكن لم يلقوا بالا لهم بل اختاروا حب والدتهم.

لكن حكمة الله وقدرته فوق الجميع فقد منحها الله أولادا طائعين ومؤدبين ماشين على الصراط المستقيم الذي رسمته لهم فقد وجدت صفية عملا لتنظيف في بلديتهم وبذلك فرج الله لها شيئا من الهم

وبذلك وجدت معيلا لستر جوع أولادها ومضت أيامها وشهرها وسننيها بعد ذلك تنشأ برنامجا قاسيا لأوراق النقود التي تحصل عليها لضمان اكتمال الشهر وفي ظل ذلك حرمت تلك العائلة من العديد من متطلبات الحياة كوفرة الماء والكهرباء فقد كانت وبنتيها يذهبن لبساتين الأعمام ويحضرون الماء بالدلاء أما الكهرباء فقد كانت مقطوعة تماما.

علاوة على تضحيات صفية لحق بالركب تضحيات البنت الكبيرة بهاء التي تخليت على دراستها لتقوم بمختلف الأعمال لإعالة إخوتها ,فغسلت الصوف للناس ونسجت الزرابي وأنواع أخرى من الأفرشة لقاء أجر زهيد من قبل هؤلاء أما ابنتيها جليلة ولينده فقد ناضلتا لأجل النجاح بكل الطرق حتى أنهما درستا ليلا على الشموع وحين تنطفئ شمعة تلك الليلة تقومان بإشعال الورق بجانب من الغرفة .

حال المستودع المزرية جعلت ركبتا صفية تصابان بالبرد وكلما كانت تشعر بألمها تجلس أمام باب المستودع وتمدها باتجاه أشعة الشمس حتى الأولاد صفية صحتهم ولم يحمهم شيئا إلا حب ولدتهم وعطفها في هذه الأثناء قدم عرض زواج لبهاء وفق الطرق التقليدية المتبعة وفى ظروف متضارب وافقت لكن الفرح لم يكن مقدرا لها في الاختيار فبعد أسبوع من الزواج طلقها زوجها وطبعا ليس لشيء سوى أنه لم يكن هو من اخترها ونتيجة هذا الزواج أنها بعد تسعة أشهر أصبحت أما لتوأمين وقد فرضت عليها الظروف التنازل صغارها لولدهم

تحصلت جليلة باجتيازها لشهادة التعليم الثانوي على نتائج جيدة وفى نفس العام تغيرت حياتهم تماما وكأن ذلك العام تحقيق الأمنيات بالنسبة لهم فمجرد دخولها الجامعة منحت الجهات الإدارية للبلدية سكنا لصفية

لأنها كانت عاملة مواظبة و صادقة في عملها وأصبح رتبها الشهري قادر على شراء التلفاز والثلاجة وآلة الخياط لبهاء ولم تمض سنتين حتى انتقلت لندى هي الأخرى إلى الجامعة أما علي يسر على درب أختيه بل سار بدرب أغلب الشباب الجزائري درب التمرد ورسم الطرق وفق مناهج بالجد والمعانات فليس هناك درب رجل حقيقي تمنحه مقدار الدراسة فهي تمنحه تلك الشخصية التي تصنعها بصنع حروف رسخت في ذهنه عنوة أو بمحذ الصدف في تلك الهندام وفي تلك الخطوات شخصت بكل بسطة تفها بصنع كلمات أجبر على المضي بها لأنه و بفضلها أصبح هناك لا ورقة مستطيلة دونت عليها بعض معلومات يجعل لها مساحة بجدار الدار أو رفقة لعدد لا يحصى ولا يعد من لأوراق والإكراميات في صندوق المقتنيات فالرجل هو تلك اليد التي لا مست طيف حلم تجعله يتحطم رويدا رويدا كما لو أن مطرقة أقدمت على تحطيم مرآة , فالرجل الحقيقي هو الذي لا يحتاج لتلك المرآة كي يحفظ دورا عليه أن يؤديه أمام ربوب العمل.

وبهذا ما كان على علي سوى أن يجعل كل خلية من جسده و كل كريت من دمه تقي أن عليه كسب المال ليكون لها الق أن يستوطن جسده لأنه و بكل بساط رفض أن تعيله ولدته وهو رجل الوحيد في حياتها الذي يمكن لها أن تستفد عليه على مر الأيام فأمه بالنسبة إليه هي تلك الأمومة الفياضة التي حبستها طفولته داخله لأنه لم يقدر يوما أن يطالبها أن تكون كذلك فأمه بالنسبة له يجب أن تكون ذلك النبع المنير الذي يغدق عليه بالعطف والحنان رغم أنها في حياته كذلك لكنه أراد أن نكون نورا شفافا صافيا انسيابيا لم يدس شفافيته قسوة الأهل ولا كسر وهجه نعب شاق هذه هي أمه الذي يرفض دائما أن يشاركه في حبها أحد

لأنه علي حين بلغ مرحلة التعليم الأساسي ولم تبق إلا أيام على اجتيازه لشهادة التعليم المتوسط أني في ليلة هادئة لا يسمع فيها إلا حركات السكون وبعض ألحان آلة الخياطة التي كانت أخته بهاء تتقن السيطرة على نوتاتها جلس مقابلا لوالدته يفرغ الصوف التي تجمع بها العائلة الصغيرة بعد صلات العشاء لأجل تبادل انشغالاتهم

علي :أمي لقد توقفت عن الدراسة .

نظرت له والدته و قالت :كيف ذلك ثم كيف تقرر أمرك كهذا ولما أصلا أينقصك شيء قصرت فيه أنا.

في حين أخذت بهاء وجليلة ولندة يتكلمن بطريقة مبعثرة : ـ ماذا عن أحلامك في أن تكون ضابط شرطة ـتوقف عن الهراء ـ هل جننت ماذا كسب غيرك عندما اختاروا هذه الطريق ـ أكيد أن كريم هو من أقنعك بذلك لتبقى خادما لديه يجني المال الكثير على حسابك أحمق أنت هو يملك المال والأراضي و لاتهمه حالك .

نظر لهن وقال : يكفي هذا قراري ـ ويكفي هذا الحب والحنان الذي تلفونني به فقد تعبت ثم ماذا أجني في الطريق الذي ترسمنه لي بعاطفتكم سوى ورقة تعليق بالجدار أستند لجنبها حين أتعب من ملاحقة الحظ في الوظائف ـ قراري لا رجعة فيه ـ ثم يا أمي تعبت من النظر إليك وأنت تنظفين أماكن هؤلاء البشر الذين لا يرحمون أبدا وأنت بهاء ألم تشتاق ضم أولادك إلى صدرك وحمايتهم تحت جناحيك لأنهما ولديك وأن يجدا عندك كل ما لذ وطاب فلا يملون الجلوس عندك عند زيارتهم , وأنتما ليند وجليلة أما طاب قلبكما ممن ذل الدينار لكما حين ترغبان في قضاء عطلة نهاية الأسبوع بيننا.

الوالدة :كل هذا ليس من شأنك ـ عد للمدرسة ولن أرض إلا بالشهادة .

تنهد علي وهو ينظر لأمه برهة من الزمن وقال : مسؤوليتك ـأهي تلك المسؤولية التي محت من حياتك كل متع السباب لجبروت الأهل وطمعهم ـ أحيطك علما أني لم ألتحق بمقاعد الدراسة منذ ثلاثة أشهر وقد تم فصلي.

بهاء :ما بك أخي لما هذا القرار المجحف في حق والدتك ـ ثم أمي اذهبي إلى المدير غدا وحاولي إقناعه بإعادته .

صرخ علي : يكفي إستجداءا يكفي تذللا ـ لن أقبل بعد اليوم العطف والرحمة من الناس ـ هذا قراري ولن أناقشه ولن أغيره .

انزعجت صفية من تصرفه لأيام مخاصمة إياه خلالها ولكنها سرعان ما رضيت عنه لأنه قضاء الله وقدره وليس لها حكم في ذلك , في تلك الفترة سجلت صفية نفسها بمحو الأمية وبهاء واصلت دراستها بالمراسلة , فاستقرت الأوضاع بينما علي اشتغل مختلف الأعمال لكسب المال وليصل في الأخير إلى التجارة الحرة والسوق السوداء فزاد دخله وظهرت أطماع أهله الذين رغم مضي هذه السنين ألا أنهم لم يتوقفوا على مضايقة صفية حتى أن قسوتهم ووقاحتهم جعلتهم يطالبون بشيء مما يكسب على حتى لا يضيعه فيما لا يحب الله أو المصاريف التافهة التي كانت ملابس لأخوته وشيئا من الذهب لأمه.

في يوم من الأيام شارك علي أصدقاءه جلسة شبانية إلى منتصف الليل وفي هذه الجلسة أستطاع أصدقاءه إقناعه بفكرة الذهاب إلى الضفة الأخرى لكسب الرزق في ظرف قصير وقد كان ذلك في ليلة ما حيث جمع أغراضه وتسلل خارج المنزل أثناء نوم أهله وذلك بعد أن ترك

لهم رسالة يقول فيها : أمي بهاء جليلة لينده أتمنى أن تعذروني على قراري يوما ما فأنا ذاهب إلى الضفة الأخرى وسأعود بالكثير من المال وأعدكم عندما أعود سأعود للالتحاق بمقاعد الدراسة, اهتممن بأنفسكن وسنلتقي يوما ما .

وهكذا انقطع علي عن أهله على أمل أن يعود لهم ز

علي :قصتي بسيطة على بساطة هذا الوطن وحلتي هي حل العديد من شبابه .

obeikan.com

حب فهيمه

في فجر يوم جديد سيمضي كسائر الأيام بالنسبة للبشر , إلا إنه مفعم بالأحاسيس المرتجلة بين صقر وتجشأت الموجة التي كانت قد عادت إلى الشاطئ لتواصل إعترافاتها . نظرت لصقر الذي بدأ يرغب في الحياة أكثر وقلبه يشع يوما بعد يوم ليجد كل عود كبريت موطنا به بعد أن تتجشأه الموجة , لكن هذه المرة لم يكن لعود الكبريت إياد ملجأ في القلب فقط بل في الحياة أيضا . كيف لا يكون ذلك وصدى ضحكات أمل وبكائها يملأن الكون بأسره , فلو كان عالم للخيال يقطنه البشر لكانت أمل ملاك صغيرا ذو جناحين يطيران بها عبر الأفق البعيد.

صقر:لمرة لم يتحاش صقر الجلوس لجانب الموجة بل اقترب منها ليشعر بحرارة أشواقه لابنه أيوب .

صقر : اسمعي يا موجة لا أدري كيف ومتى ولكن صدقيني أنك أصبحت أمرا لابد منه في حياتي وأتمنى أن لا تكون لي حياة بعد انتهاء المدة .

الموجة : كفاك عن هذا الكلام ياصقر أنا لم أظهر لك للاعتراف بكل ذلك لتموت بعدها بل ينبغي أن يصل صدى اعترافاتي إلى الأمد البعيد جدا .

وقبل أن تبدأ الموجة اعترافها كان هناك موجود ثالث معهما ألا وهو صوت الرعد وتساقط الأمطار الذين كان لهما لحن أخر لحن هادئ وعاصف غن أراد لكنه مليء بالعطف والحنان والوحشة وكأمه يحاكي

جدلية متضاربة أو أنه كان بداية القصة التي سيستمع لها صقر الذي قرأ هذه البداية على الابتسامة التي ارتسمت على محيا الموجة :

بعد أن سرق نظري حال إياد الذي كان لا يزال يلاعب دمية القصب , لوح عود كبريت أخر من بعيد كي تكون حكايته هي التالية ظهر للجميع حينها شاب في عمر الثلاثين طويل القامة مفتول العضلات مثل جندي سبل حياته لأجل خدمة الوطن عندما لاح نظر الموجة أليه ارتأت في نفسها أنه صعد القارب عن طريق الخطأ كحال القطة وابنها وعندما لوح بيده كأنه كان يريد النزول من القارب لكن الموجة أجابته بأن الأوان قد فات يا إسلام لقد أصبحت في عرض البحر لكنه بطريقة ما أخبرها أنه يريد أن يأخذ دوره في الكلام :

سكينة ورابح كانا زوجين على وشك الانفصال لأن الزوجة المسكينة تأخرت في الإنجاب فاعتمد رابح هذه الحجة متزوجا امرأة في الصحراء موطن عمله ترك سكينة عند أهله غير معروفة المصير لكن الله سبحانه وتعلى لم يرد أن يصل الزوجين غلى أبغض الحال , رائفا بحال سكينة فخلق بداخلها روحا أعادت مجرى الحياة إليها بدأت تلك الروح تكبر شيئا فشيئا فمنح ذلك سكينة فرص التباهي بين الناس معتبرة إياه عزة نفسها وموطن أمنياتها وبئر أسرارها وحنانها وعطفها وحبها . مضت شهور الحمل وسكينة لازالت عند طلب الانفصال لأنها كانت قد ربطت روحها بروح ابنها الذي أرادته طفلا تسميه إسلام طالبة من الله أن لا يمنحها بنتا ليس كراهية للبنات فهي لطالما أحبت بنات أهلها بل لأنهه أرادت سندا صلبا تمنحه اللين من حنانها وبركتها.

كانت نصيحة الأهل لها أن تمشي طويلا في أيام حملها الأخيرة كي تكون ولادتها سهلة , وقد كان أن فعلت ذلك , وتلك الأيام كانت مأخوذة

من فصل الربيع ببهاء حلته وروعة أزهاره , لكن مداعبات الجو لم تشأ الاختفاء حينها فقد اغرورقت السماء وهطل المطر بعد أن توارت الشمس المسائية وراء كتل الغيوم المفعمة بالاضطراب و الاتساع والانكماش ويحتضن البياض كتل السواد التي تحاكي شتى المشاعر والأحاسيس , فقد أصبح للسواد معنى أخر وهو أنه يحتوي داخله كل الألوان التي حوتها الطبيعة.

سكينة حينها تسير عبر الممرات الصغيرة لحقل أهلها تستنشق الهواء محاكية ابنها إسلام كي يطل على الحياة ويبهج قلبها قائلة : ماذا يا إسلام ألا تريد أن تغرد رفقة هذه الطيور أو تدوس بقدميك الناعمتين على هذه الأزهار والأعشاب فتزيدها قوة وبهاء.

أسرع يا إسلام , كي تكبر وتتسلق هذه الأشجار . كي تكبر واحتفل بختانك في أحضان هذا الحقل , كي تكبر وتركض عبر ممراته وتذهب إلى المدرسة , وحين عودتك تجدني أمام الباب انتظرك نشوق ولهفة ..... كي تكبر ويأتي يوم وتغيب عني لشهور ثم المحك آت من بعيد تلوح لي بقبعتك العسكرية وتحملني على ذراعيك فأنا لست أما ممتلئة الجسم بل نحيلة في الميلاد ونحيلة لمر الأيام وتفاجئني بقولك ": يا أمي لقد كبرت." ليكتمل القمر في سماء حياتي وأقرر أن أزوجك مختارة لك الأجمل .

في هذه اللحظة أخذ إسلام يكثر طرقاته على جدار رحم أمه لتمسك بخاصرتها وتهم لتنادي من يساعدها لكن إسلام لم يعطي لها وقتا لفعل ذلك فقد أخذ يتسلل من تلك العتمة وفي قلبه رغبة في مرضاة أمه أسرع في الخروج للحياة لتلفه أزهار البابونج وتصل جدته لتطع صلته برحم

والدته من دابرها لافة إياه في قطعة القماش الناعمة مسرعة به إلى البيت لتأتي بعض النساء ويحملن سكينة في هذه اللحظات التي تكون في العادة مهمة لكل أم لم يترك إسلام لها فرصة لتتابع مراحلها نسيتها جميعا ولم تعد تعي سوى أن تحمله وتضعه ليطمأن على صدرها مالئة إياه بالقبل المتهاطلة عليه إلى أن تهدأ انسيابيا وتختفي مع نوم الألم وتعب المخاض وفي هذه اللحظات كان رابح قد وصل اقترب من ابنه حاملا إياه بين ذراعيه مكبرا في أذنيه أذان الصلاة . ثم ردد سبحان الله ماشاء الله حفظك الله ياقرة عيون والدتك , ثم نظر لزوجته حامدا لها الله على السلامة وهم بالانصراف لكنها أوقفته بكلامها.

سكينة :لقد عدلت على موضوع الانفصال لأنه فير مناسب لإسلام.

وبهذا بدأت حياة إسلام بكثير من الحب والحنان من والدته والرعاية المتكاملة من كل العائلة ومع مضي سنوات حياته كانت والدته ترزق بأولاد غيره لكنه كان هو الوصال الذي لا يمكن لها أن تقطعه إلى أن كبر وأصبح في عمر الثانية عشر .

في مساء يوم جمعة مسك بيد والدته مرافقا إياها إلى بيت العم الذي يقع في الحي المجاور وفي ممرات الحقل سقطت الوالدة فجأة على الأرض ولم يرى إسلام سوى أما ممدودة لا حركة فيها وهذا المشهد يعني الموت حسب ما كان يشاهد في التلفاز , تحسسها بنظره ورعشت يديه.

أسلام صارخا :جدي جدتي عمر كريمة جميلة أمي ماتت أسرعوا...لكن لم يصل الأهل حتى عادت الحياة لذلك الجسم الذي كان للحظة بلا روح مادا بصره إلى ابنه ليهدأ من روعه وهو يقول بلسان

والدته : تعال يا إسلام إلى والدتك ولا تخف فأنا لن أموت لأتركك وحيدا .

ساعدها إسلام على الوقوف ومضيا في طريقهما ترأى لإسلام أن المشهد كان عابرا ولن يتكرر لأنه لم يكن يعرف سببه لأن الأم لم تخبره ولم تخبر الأهل كذلك أنها تعاني من مرض هي الأخرى لا تعرف ماهيته فهو مرض أخذ يمتص ما بداخلها من أعضاء ثم انتقل إلى عضا مها ينخرها كانت تعاني لكنها تأبى الاعتراف, كانت تموت في اليوم مئة مرة , أوكما يقولون تصل إلى ملك الموت تسلم عليه ثم تعود والشيء الوحيد الذي كانت لاتتأخر عليه هو العناية بإسلام .
وفي ليلة من الليالي حيث كان الجميع نيام ,اقتربت منهم وتفقدت أغطيتهم الواحد تلوى الأخر وعندما وصلت إلى إسلام قبلته لأنه كان مستيقظا.

قالت :إسلام ولدي غدا قد أتأخر في النهوض صباحا لذا ستعد خالتكم الفطور بدلا منى ,اذهب إلى المدرسة ولا تنسى أخذ أخوتك إلى مدرستهم.

مضى الليل وأشرقت شمس يوم جديد تنول الجميع إفطارهم وهموا للذهاب إلى المدرسة , إلا أن قلب إسلام لم يطاوعه على عدم رؤية والدته ومنحها قبلة الصباح وأخذ بركاتها . فتوجه إلى غرفتها طرق الباب لكنها لم تأذن له بالدخول, لكنه رغم ذلك دخل وأخذا مقتربا من فراشها بهدوء يتأملها , لينحني ويجلس على ركبتيه ويقبل جبينها , أثناءها تحسس غياب حرارة الحنان , تحسسها مرارا على كامل

وجهها بحثا عن ذلك النبع ففسر الأمر انه انخفاض درجة الحرارة فركض نحو خالته لتسعفها.

طمأنته قائلة :لقد تناولت الدواء عند الفجر وسرعان ما سترتاح ـ اذهب أنت إلى المدرسة ولا تشغل بالك.

ذهب إسلام إلى المدرسة لتمضي ساعات الدراسة ,ليوجه خطاه دون تردد إلى المنزل ولا وجهة أخرى وما هم قلبه سوى أن يرى والدته بخير عند الباب تنتظره .

وصل إلى الحقل وبقي طيلة مسافته يحاول استنشاق عطر والدته ذلك العطر الذي لم تضعه يوما على جسدها لأنه عطر حباها الله به كي يشمه إسلام وحده عطر لم يعرفه من قبل لكنه فجأة وفي هذه اللحظات يريد بشدة أن يستنشقه وهو لا يعرف أهو عطر للورود أم عطر للفواكه ...لكنه يعي أنه يريد عطر والدته . لكن ذلك لم يحصل حتى وصل إلى باب المنزل فمد يده ليطرق الباب وفي قرارة نفسه أن من سيفتح الباب هو والدته فلا يضع يده عليه حتى يفتح , وكان ذلك , فتح الباب فابتهجت عينا إسلام .

إسلام : هاأنت ذا ياأمي وراء الباب لما لم تكوني في بداية الحقل ؟

لكن الذي فتح الباب هو والده , فسكتت لهفة أسلام ودخل المنزل وهو متيقن أن خطبا ما حدث بالمنزل وهو يخطو خطواته يبحث عن والدته, كان يمد بصره بكامل المنزل وهو يتأمل ذلك الجمع من النساء لم يذكر أنهن اجتمعن ألا في ختانه وختان إخوته ـ لكن الذي حث لم يجرأ أن يخطر على بال إسلام ـ وكل هذه المناسبات غير موجودة والوالدة كذلك .

فأخذ ينادي في صمت :أين أنت يا أمي ـ أمي لما هذا الضباب في منزلنا ـ أهناك خطب ما ـ نعم هناك خطب ـأتعرضت أمي لمكروه ؟ ـ لا لا يمكن ذلك.

بدأت الإجابات تتضح عندما مد إسلام بصره إلى غرفة والدته ليقع بصره على الكتلة البيضاء الممددة وسطها , يرمي محفظته لأن تيقن أن والدته قد ماتت .

يصرخ : أمي أمي أمي

وكانت خطواته على قدر لحن تلك الصرخات ليجد نفسه مرميا على صدرها وهو يبكي دون أي كلمات لكن أمه التي كانت روحها لم تغادر بعد الغرفة كانت تداعب خصلات شعره وتطمئنه .

روح الوالدة : لا تبك يا ولدي ـ لا تلمني في صمتك لأني لم أفي بوعدي لك وأبقى لجانبك فأنت غبني وعليك أن تثق دائما بأمك فهي لم تذهب بمحو إرادتها بل الله خالقها دعاها ـ سأكون هنا لجانبك دائما فلا تبك يا ولدي ولا تشعل النار بجسدي فأنا أمك ـ توقف عن البكاء ياولدي .

بعد ذلك لم يعد يريد أسلام أن يتذكر شيئا مما يحدث رغم أنه وقف لجان والده في مراسيم الجنازة كلها .أراد أن يعتني بإخوته على مر الأيام لكن والده أحضر زوجته من الصحراء لتعتني بهم , فأخذ الجميع معالم الحياة التي كانت بها سكينة ولم يعد لها وجود إلا في قلب إسلام الذي كانت تمر أيامه وهو يعيش حب والدته إلى أن أتى يوم ارتسمت والدته له على محيا هذه الحياة فقد انتقلت إلى المدرسة المتوسطة التي بها إسلام فتاة جميلة بهية الطلة مرتبة الحركات والتصرفات ذات خصلات

شعر انسيابية على الكتف مختلسة إشعاع الشمس ولون أغصان شجر الخريف.

وندما لاح بصر إسلام نحوها علم قلبه أنها أخذت منه كل الوحشة وأعته واقعا أخر سماه في لحظتها " حب فهيمه. "

فهيمه التي كانت تقطن بالقرية المجاورة والتحقت بالمدرسة المتوسطة هنا لظروف عمل والدها الذي تم تعيينه مراقبا بها , فنشأت هذه العاطفة وارتسمت لها الطريق بين إسلام وفهيمة رغم الظروف المحافظة بهذه المنطقة بولاية بسكرة ومضى يمضي على بساطته وفي بضع كلمات في رسائل قليلة , إسلام لم يرسم حب فهيمه في لوحة رسالة ليعلموا أنها سترمى إما لعدم الاهتمام بها أو أنها سترمى في صندوق الذكريات بل رسم حبه على جدران قلبه وجعل منه ذلك السائل الذي يجمع بين كريات الدم الذي يضخه قلبه وجعله مدخلا لكل أمر في حياته , وانطلق يرسمه في بيته وداخل غرفته وبين أشجار الحقل ذلك الحقل الذي ضم أهم وأروع الأحداث في حياته فجعل لها موطنا في كل ذلك وأشار على الناس أن فهيمه هي الآن أميرة لكل ذلك أميرة ستتوج يوما ما ملكة على عرشها فجعلهم ينتظرون انتصار حبه .

عندما انتقلت فهيمه إلى المرحلة الثانوية أسلام لم يوفق في ذلك فقرر الالتحاق بالسلك العسكري والعمل الدائم فيه وهنا يتضح مفترق طرق في هذه المشاعر التي كانت بالنسبة لأصحابها مشاعر نبيلة , فعندما انتقلت فهيمه إلى المرحلة الثانوية بدأت حيات جديدة تتطلب فكرا أخر وتصرفات أخرى لتثبت فهيمه أنها كبرت وأن أحلامها لم تعد تتعلق بتلك القرية ولا بشخص إسلام و فبحياتها لم يعد هناك إسلام الذي يحبها فقط ويهتم لأمرها ولا ينسى مناسبة إلا وقابلها بهدية جميلة تعبر على

ولهه بها , لم يعد هناك إسلام فقط الذي جعل منها أميرة تلك القرية دون أي منافس , لأنه قد أصبح هناك الكثيرين بحيث أنها ستتمكن من أن تختار وتكبر وتتعزز تاركة بذلك شابا اسمه أسلام اعتبرته يوما حبيبا لأنه أجاد كتابة الرسائل لمنه اليوم لا يرقى إلى مستوى أفكارها وأحلامها.

إسلام كان لايمضي يوم ألا وهو راكن أمام باب الثانوية ينظر أميرته ليراها فقط في معظم الأحيان أو يتبعها إلى حد باب منزلها وهو يكلمها خلسة على بني البشر , يسألها عن حالها ودراستها وقد كانت تجبه بكلمات ليست قاطعة فلا يعرف أسلام إن كان لا يزال بمكانه في قلبها أم تمت تنحيته لأنه لم يكن يقرأ في تصرفاتها سوى الدلال لأنها في نظره أصبحت أكثر جمالا.

بلغ عمر إسلام الثامن عشر وهذا يعني أنه سيذهب بعد أيام إلى الجيش, فذهب إلى قبر أمه كعادته ليحكي ويأخذ بركاتها في قرار قد اتخذه حين دخل المقبرة وتوجه إلى قبر أمه وحين وصل قرأ لما الفاتحة ثم صمت قليلا وهو يرتب جلسته بجانب قبرها.

إسلام : أمي أتدرين بعد أيام سأذهب إلى الجيش وبعد أكثر من شهر سآتي لزيارة أهلي وألوح لهم بقبعتي دون أن تكوني بينهم لكن طبعا لن أفعل ذلك لأني سآتي لك أولا يا أمي فأنا لا أستغني على بركاتك. ـ واليوم أتيت لأخبرك أنني سأذهب لطلب يد فهيمه وهذا هو خاتمك الذي أردت إلباسه لزوجته ـ المهم أمي وأنت هناك بجوار ربي ادع بأن أوفق .

قبل قبر أمه وتوجه في طريقه للقاء فهيمه وهو يضع في مخيلته كل الذي سيقوله لها وماذا ستكون أجابتها على اعتبار أن ما سيخبرها به يحلم به الاثنين معا عندما إلتقاها عند باب الثانوية وأراد أن يكلمها منعته على اعتبار أنها تتفاد الإحراج والمشاكل مع أهلها تحمل إسلام ذلك وتبعها من بعيد إلى أن وصلت إلى أحد المفترقات أوقفها .

إسلام : حسنا فهيمه نحن الآن بعيدين عن الإحراج والمشاكل وأريد أن تسمعيني فعندي كلام سيفرحك .

فهيمه : تكلن أنا مستعجلة .

إسلام بعد أن التقط أنفاسه ومادا يديه إلى جيب سرواله مخرجا منديلا صغيرا وأخذ يفتحه بهدوء لترى فهيمه ذلك الخاتم منتظرا ردة فعلها لكنها لم تفعل .

إسلام : مار أيك فيه فهيمه ؟

فهيمه : خاتم جميل

إسلام بابتسامة مكابرة :أعرف أنه خاتم لكن ألا يذكرك بشيء أخبرتك عنه ؟

فهيمه وبكل برود : لا.لا أتذكر . إسلام متغاضيا عن كل ذلك البرود :انه خاتم أمي يا فهيمه, انه الخاتم الذي وعدتك باني سألبسك إياه يوما ما.

نضرت له فهيمه بتعجب : تلبسني إياه لكن لماذا ؟

إسلام : مابك فهيمه , ما كل هذا , لا توتريني وتصبح الكلمات التي رتبتها منذ أيام, أنا آت لطلب يدك غدا

فهيمه بضحكة ما كرت : تطلب يدي ؟ هكذا بكل بساطة وكأن القرار لك فقط.

إسلام :هكذا بكل بساطة ؟ ماذا تقصدين ؟ أيعني أن كل مامر في هذه السنوات السنوات.يئا ليكون هذا الأمر بسيطا ؟ ثم هذا هو الهدف الذي جمعنا كل تلك السنوات.

ضحكت فهيمه مرة أخرى ثم أخذت الخاتم وأعدت لفة المنديل مجددا وإعادته لإسلام وقالت : مع احترام لروح والدتك رحمها الله, لكني لا فكر في الزواج, وأظن أنه عليك أنت أيضا أن ت صرف الموضوع وعني كذلك.

ثم استدارت مكملة طريقا, بينما إسلام بقي مذهولا لايعرف ما الحقيقة وما الذي عليه أن يفهمه, هل لم تعد تحبه, أو أنها لم تحبه أصلا, أو أنها قالت ذلك لتكمل دراستها دون أي التزامات. أو ماذا.

رغم محاولته في إيجاد الإجابة إلا أن فهيمه لم تعد تمنحها له ,وماكان عليه أن يفعل شيئا سوى الذهاب إلى الجيش بعلامات الاستفهام تلك وعندما عاد بعد فترة لم يجد فهيمه فقد انتقلوا إلى العاصمة للعيش هناك , إسلام لم توقفه المسافة بل بحث عن عنوانها بالعاصمة وذهب إليها لكنها صدمته على اعتبار أن والدها خطبها لابن عمها وما كان على إسلام إلا أن يعود إلى جيشه وإكمال سنوات الخدمة الوطنية. وانتقل بعدها إلى العمل بالسلك العسكري وهناك كانت

تمضي السنوات وفهيمه لازالت السم الذي لم يترك إسلام يعيش حياته ولا أ يموت ويرتاح لينتقل إلى جوار والدته.

وبعد أن مضت ثلاث سنوات علم إسلام أن فهيمه انتقلت إلى الجامعة بولايته وأن أمر خطوبتها بابن عمها

لا وجود لها أصلا ,فأسرع إلى الجامعة ليعيد حبه المفقود ,لكن ذلك لم يحد ث وهذه المرة صرحت له أنها لن

تتزوجه لان والدها لن يقبل لها لأنه لم يعد بمستواها ولا بمستوى والدها ,وأن رجال السلك العسكري سيئو السمعة.

لكنه لم يبالي لأنه عاهد أمه أنه لن يغدر بامراءة أبدا وبقي يحاول إعادتها لان إسلام لم يقتنع أن فهيمه هي التي لا تريده وأنها تيني مستقبلها مع شخص أخر , لكنها ولغرورها لم تخبره بذلك وأرجعت سبب رفضها لوقف والدها .

في يوم من أيام العام الأخير من دراستها , كانت بداية تشكل نقطة النهاية .

فبالنسبة لإسلام الأمر وصل حد الزبى وعليه تقرير المصير فحاول الوصول إليها عن إحدى معارف صديقه عمر والتي كان اسمها فطيمة التي ترددت كثيرا لكنه عندما كلمها مباشرة عبر الهاتف راجيا إياها المساعدة على اعتبار أن فهيمه بالنسبة له هي الأم التي فقدها ولا يفكر في أن يتخلى عن نبع الحب لديه وإن قسا سيناضل لأجل أن يجعله يلين .

فطيمه مضت تساعده دون شروط وأخذت في البحث عن فهيمه وحين وجدتها لامت القدر لكون فتاة مثلها تمنح الحب وتتكبر عليه , لم تكن فهيمه جميلة فحسب بل هي حسناء حقا , لكن هناك في أعماق نفسها فراغ من المشاعر رهيب أخفى شعاع الحب الذي وصفه إسلام لفهميه عبر الهاتف.

فرغم الأسباب التي كانت تقولها في عدم قبولها لإسلام في كون والدها لا يقبل رجلا في السلك العسكري , لكن الحقيقة هي التي لاتريد إسلام حبيبا لها وفي خضم الحوارات بين الحوارات بين إسلام وفهميه عبر هاتف فطيمة مخبرة إياه توضيحها الذي لم تسمعه فطيمه لكن ردود الفعل لديهما جعلها تفهم أنها أخبرت إسلام أسبابا لم يقتنع بها .

وعندما ضغط إسلام باتصالاته أخبرت فهيمه فطيمة أنها ستغادر فجر الغد إلى العامة وعلى أسلام أن يعرف وذلك وما كان عليها إلا أن تخبره فخرج من إقامة الذكور بملابس النوم في برد تلك الليلة وأمضاها ينظر خروجها أمام باب إقامة البنات لكنها لم تفعل ورغم اتصالات فطيمة التي تخبره أنها تكذب لكنه لم يدخل .

في مساء ذلك اليوم كان اللقاء الأخير بينهما بعد الإلحاح الذي ألحت به فطيمه وكان ذلك في إحدى محلات الهاتف. فطيمه لم تكن معهما لكنها وبعد نصف ساعة شهدت موت قصة حب تمنت في لحظة أن تستمر لأن إسلام أحب بصدق وإن زادها تحميله لفهيمه حب الأم وهي صغيرة وربما هوالسبب الذي جعل من إسلام يخطأ في رسم قصة الحب خاصته لأن والدته لم تمنحه إلا الحب لأنه في رأيها لم يخلق إلا لذلك , وفهيمه رفضت هذا الحب لكن في أعماق نفسها أن تكون هذه المشاعر في ظروف أخرى ولما لا مع شخص أخر ربما حينها قد وجدتها لكنها

ليست متأكدة إن كان حبا كحب إسلام لها ,. لأنها أنثى تغرم بالمظاهر للتباهي بها أمام الناس أما أسلام فرغم أنه عسكري مفتول العضلات تغطيه سحنة سمراء أسرة وعينان رغم كبرهما إلا أنهما يفيضان حنانا ولطفا لكنه ميسور الحال من أصول تختلف تماما عن فهيمه ذات السلالة الراقية .

واصلتا طريق العودة إلى الإقامة أما إسلام فقد عاد مكسور الخاطر والدموع لم تكابر لحظتها بل سرت على خديه تتمنى أن تسقي تراب قبر والدته التي خذلته هي الأخرى وتركته وهو في أمس الحاجة إليها . فلم يقتل الرجل في وقته إلا السلاح أما هو فقد قتل مرتين م قبل امرأتين أمه التي قتلت فيه حب الطفولة وكبتت في داخله أشواقه لأمه وحين أراد أن يستمر قلبه في المحبة قتلته فهيمه لأنه ليس الفارس المنشود بالنسبة لها .

بعد الذي حدث لم يذهب إسلام إلى قبر أمه عاد إلى الجيش وفي تلك الأيام اتصل بفطيمة وطلب مسامحتها له على إزعاجه لها وعندما اختنق من الجيش كذلك بعد أن علم بأمر هذه المجموعة التي ستغادر إلى الضفة الأخرى لن يجد فيها أثرا لأمه ولا لفهيمة ليصبح سيدا يليق بمقام المراقب وابنته فهيمه.

بعد أن أكملت الموجة حكايتها وهمت للعود إلى عرض البحر .

صقر :شباب مثل الوردة ضيعهم مورد الوردة .

البالون

استقبل صقر يوم جديدا مفعما بالحياة والأحاسيس الدافئة نحوى هؤلاء الشباب الذين يذهبون هدرا وفي قلبه رغبات في لو أنه قد لقيهم يوم للقنهم أسرار البحر في كونه وجد ليكون أية من آيات العشق والهيام أودعها الله في الكون أمانة لدا البشر فالبحر موطنة أسرار هذا الكون أية لم يتمكن البشر من تدنيس روعتها إلا الأخاذة رغم كل المحاولات ...فكيف لهم وهو رحيق الحياة وفحوى المجتمع أن يزعم أنه يمكنهم أن يتغلبوا علي جبروته وطغيانه .

اقترب صقر وانحنى جالس في واجهة الموجة التي كانت قد أتت قبله وهي لا تنفك تجعل من بالون أخضر تاجا علي حدود امتدادها لترميه نحوا صقر الذي امسكه بين يديه يتأمل الخطوط السوداء التي كانت تملاه وحين أمعن النظر تكونت لديه كلمات ثم جمل شكلت بمجملها رسالة بدايتها.

أمي , أبي, إخوتي , أنا كريم ابنكم البار في أعماقه, العاق في قراراته أكتب لكم وأنا في أخر اللحظات التي أخلصكم فيها من عبئ مراسيم جنازتي وأنا ألفظ أنفاسي الأخيرة عمق البحر , وكي لا أحمل الأرضي كذلك عبئ جسد عاق لمن حمله تسعة ورباه سبعا وعشرين سنة

سامحوا ولدكم الذي لم يعي سوء تصرفه إلا وهو يجهز ليكون وليمة للحوت ...وهكذا ربما ستتذكرون ابنكم مع كل علبة للحوت المعلب تمدين أيديكم لتناولها ودون أن يقول صقر شيئا بدأت الموجة حكايتها :

كان الكل يتبادل كوكبة أحلامه وتعقيدات مخاوفه مع من اختاره وأنيسا من عيدان الثقاب تلك , على غرار تلك النفوس الشاردة التي تحاكي

الفضاء الواسع فينطلق ذلك الإشعاع الأخاذ من عيونهم بعد أن تم أخذه عنوة من لألأة النجوم التي كانت من حين لأخر تتوارى خلف السحاب فتنسى النجوم روعتها وتأخذ في تأمل تلك العيون التي حباها الله أفضل ألألأ.

تكلم بطل حكاية اليوم وقد كان شابا بهية الطلعة صاحب ملامح بريئة لم تجد إخفاء حاجتها للرعاية, فلم أتمالك رغبتي لأتمدد أداعب طفلا برذاذ تموجاتي, متسائلة إن كان صدقا قد وجد خطاء هنا .

لكنه يسكتني و يبعدني عنه بقوته المتباهية وصدى صوت حنجرته التي تنبئ أنه شاب في العقد الثالث من العمر رفض الحياة عندما رفضته مانحة إياه اسم كريم لعله يحمل نصف معناه مع مرور الزمن , لكنها لم تمنحه حتى فرصت أن يكون كريم مع نفسه فيمنحها حقا في أن يكون شاب وعيا وزوجا محبا وأب مسئولا ولم تكن له فرصة غير أن يكون الابن العاق فيتشارك مع بقية شباب القارب في معنى هذا المركب الاسمي.

في جانفي من عام ١٩٨٥ انطلق في إحدى غرف مستشفي مايو صدى لتكبيرات الصلاة, لكن الوقت لم يكن موعدا لأي فريضة دينية وإنما تباشير أب بمولود جديد حمله بين ذراعيه ليرسخ في ذهنه أقدس وأهم كلمات التوحيد التي ينبغي لكل إنسان على مر حياته, ثم يقبله بغرور أب صامد المشاعر لايبدي الفرح ولا أهات الألم ليضعه بجانب والدته.

كبر كريم الابن الخامس لهذه العائلة لتبدأ عنايته لنفسه وهو في سن السادس من عمره بخروجه لشارع وتكوينه لعالقات مع أقرانه من الأطفال فتتكون عنده رفقة أبناء الأقارب وقد كانت علاقته بجميلة

ونادية هي التي لاتتغير تحت أي ظرف كبرت تلك الرفقة إلى عشق طفولي لنادية وثقة صديقة لجميلة , وبذلك لم يعد بحاجة إلى أهله , فهم داخل حديقة الحي شيدوا المنزل السعيد الذي لم يكونوا غادروه إلا لأجل تناول الوجبات الرئيسية وحين يرخي الليل سدوله منذ ساعات طويلة حيث حظوا بأجمل الأحاسيس وأروع الذكريات لطفولة مضت كلها شجارات بين كريم ونادية رغم ذلك العشق الذي يجمعهما , ولأن تلك الأيام كانت طيبة للغاية كان الثلاثة يكونون حياتهم الخاصة مع الناس ورغم ذلك فإن ذلك المنزل العيد لم يتأثر يوما ولم يشتق لهم للحظة لأنه كان يجمعهم ولو لساعة واحدة من المرح وسرد ما فعلوه خارجه رغم أنه شيد بشيء من القصب والبلاستيك من بقايا البيوت البلاستكية التي كانت تملأ المكان.

ومع تغيرات الزمن لم يعد لهذا البت أثر إلا في قلب كريم ونادية وجميلة رغم أنهم انصرفوا لحياتهم وذلك حين تجاوز الثلاثة سن الرابع عشر .جميلة كانت موفقة في دراستها دائما أما كريم فلم يحظى إلا بالدراسة الابتدائية , ونادية تأرجحت مرارا بين النجاح والرسوب إلى أن أكملت إلى السنة النهائية من التعليم المتوسط فتوجه إلى الحياة العملية.

تبدأ حياة كريم المتوحدة في هذه الحياة , وهو يكابد فقدانه لمحبوبة طفولته رغم أنه عرف بعدها الكثيرات , وصديقته التي كانت تجيد الإصغاء إليه , وقانون أهله ألقاض بأن عليه وهو في مثل هذا السن أن يكون مسئولا عن حياته من كل جوانبها.

معاناة كريم تعمقت وتعقدت لأنه مرهف الإحساس ـ وربما عديم الشخصية في معظم اللحظات ـ صادق في حاجته إلى عطف من هم حوله , لكن ذلك أبدا لم يكن ليحصل , لأن طابع العلاقات الأسرية في تلك الأسر التي ينتمي إليها يعتبر مبادلة الحب والحنان بين الأفراد شيئ جنوني مبالغ فيه معتبرين إياه ضعفا في الشخصية وإلتواءا لحالها , ومن يحمل ذلك أو بالأحرى يصح به ينبذ إلى متاهات الحياة وهذا ما حدث لكريم الذي لم يجد الاختيارات الصحيحة.

ذات يوم عاد إلى منزله يطلب حنان أمه ورعاية أبيه , بشيء من التودد ,بعد أن عان من الزكام لأيام وهو يكابد البرد القارص في الشارع بحثا عن البرهان في كونه رجلا مسئولا والدته اكتفت بتحضير الفراش وشيء من الشاي الساخن وانطلقت في أعمال المنزل , أما الوالد صلب المشاعر حين دخل في حدود السادسة مساءا عائدا من عمله حين رأى ابنه ممددا يحتضن بطانيته توجه لزوجته بالمطبخ.

الوالد بصوت مرتفع : اسمعيني جيدا لا أحتاج ابنك في منزلي.

الوالدة :هو ابنك كذلك.

الوالد :ليس لي أولاد سوى هذه ـ بعد أن سحب النقود من جيبه ـ تحفظ ماء وجهي بين البشر ـ لقد تعبت من رعايته وكثرة دلاله ـ في سنه كنت أبا لأخيه البكر رحمه الله.

الوالدة : اهدأ الآن ـ سيشفى من مرضه ويغادر ـ عالة كتبها الله لنا وعلينا أن نتحمل فهو محسوب علينا .

الوالد:ادت الحياة أن تتعرف على أمهات يمنحن حياتهن تحت أقدام الإذلال والمهانة في سبيل أولادهم حتى وإن كانوا سيئين , لكن هذه الوالدة نطقت بالمحظور الذي يمكن أن يكون معقولا إذا نطقت به زوجة أب , ربما لأنها من النساء اللواتي لايملكن حياتهن ليملكن عواطف اتجاه أبنائهم .

الوالد : لا تثيري غضبي ـ عن أي مرض تتكلمين عليه أن يعرف أنه لم يعد طفلا لأرعاه ـ حسنا سأدخل الحمام وحين أخرج لن أجده هنا هل فهمت ؟

الوالدة :أين يذهب وهو في هذه الحال ؟.

الوالد : لا يهمني ـ إلى الجحيم إدا أراد وإن حن قلبك يمكن أن ترافقيه.

أثناء كل هذا الجدل كان كريم يصارع حمى الزكام ليحمل نفسه ويغادر دون أن تتكبد والدته عناء اختيار العبارات لإخراجه خرج كريم وهو يسير في شوارع المدينة التي كانت منذ سنوات قليلة أحياء قصديرية لكنها الآن تغيرت تماما , وهو لا يدري ماكان يحمله محيا وجهه أهو حبات عرق الحمى أم سيل دموع الألم والآهات أم قطرات الطر التي كانت تنزل زخات زخات , ولم يجد نفسه إلا وهو في كوخ مهجور أخر المدينة لينظم إلى أصدقاءه الذين لطالما دعوه لينسى كذبة العواطف الأبوية.

بهذا التوجه نحو البيت المهجور تبدأ حياة كريم المتوحدة والمعزولة على كل من أحبهم فقد اغتنم أصحابة لحظة ضعفه تلك وجعلوه يشرب حتى الثمالة حتى ينسى نفسه وينسى مرضه ـ هؤلاء الأصدقاء الذين كنت أنظر إليهم وأقول في نفسي لم يقال عنهم أصدقاء سوء صديق

السوء من يخرجني من الجنة إلى النار لكنهم هم مجرد عاثري حض اشتركت وإياهم في هذا القرار فهم وإن شربوني حتى الثمالة فلأنهم أحسوا بوقع الخناجر في داخلي فهي الخناجر متشابهة في سمومها داخلنا جميعا.. ز وبذلك لم يعد كريم يجد العطف وراحة البال إلا وهو يحتسي ذلك السم الذي جره إلى تناول الحبوب المهدأة وإدمانه لها حرك رغبة الحصول على ما أقوى منها فكان ذلك يسري إلى دمي بواسطة الحقن التي بت أستعملها وذلك بعد أن أصبحت الطريقة التقليدية لا تفيد في غيابي على الوعي والتي كانت إفراغ كمية من غراء الأحذية في أكياس الحليب البلاستكية وأحيط ذلك الكيس حل أنفي وفمي وداخلها تتم عملية الاستنشاق والاستنفار.

وحين أخذ كريم أحد ألقاب رواد المخدرات ومدمنيها , شدة الحنين إلى محبوبة طفولته نادية وهي الفتاة التي بكى فقدانها مرارا وتمنى أنه لم يتركها يوما لتختار غيره حاول العودة , رفضته وهو العاطل عن العمل وعاطل السمعة وإن كسب مالا يضعه في الممنوع الذي لأجله كان يسطو على بيت والده وكذا عمليات السرقة المنظمة ضمن فرقته.

كريم لم يستسلم انتقل إلى العمل بالعاصمة ليقنعها بنفسه وذلك بميناء العاصمة , وعاد إليها وكله أمل في أنها لن ترده بعد أن أصبح رجلا مسئولا, وأعد لها أجمل أيام المستقبل , عاد في زياراته القليلة لأهله ووضع هذه المرة مبلغا من المال في يد أمه ليضمن مبيت تلك الليلة لأن هذه الليلة مميزة جاد فنادية ستبيت مع إخوته لأن أخته لبنى قد أتت من الجامعة وهي مشتاقة لها .

انتظر الليل بفارغ الصبر نام الجميع وترقب خروج نادية لقضاء حاجة ما تأخر الأمر لكن في حدود الساعة الثالثة صباحا خرجت نادية من

غرفة النوم متوجهة إلى المطبخ, غافلها في فناء الغرف شعرت نادية بهزة خوف شديدة شعر به كريم وهو يلفها بذراعيه مغلقا فمها حتى لا تصرخ هنيهة حتى هدأت لأنها عرفت أنه كريم وهو لن يؤذيها , سحب يده ونظر لها وهي تريد إجابة عما يفعله لم يجب بل مد يده وسحبها بهدوء إلى غرفته ... كانت مطاوعة له تماما لأنها دائما رغبت في أن تجد عنده حبا أو ربما رجلا ضيعته في متاهات الحياة.

حين دخلا الغرفة أغلق الباب ثم نظر لها وهي تبتعد عنه خائفة من أن يغره الشيطان ويؤذيها مع أنه وعدها دائما بأنه لن يمس شعرة منها مهما كانت الظروف ولكن أحداقها تثيران العديد من الأسئلة والرغبة في معرف ما يريد.

حاول أن يقترب منها أكثر مداعبا خصلات شعرها التي كانت تغطي ناحية من وجهها فتبعد نفسها برعشة نرجسية , آه منهن النساء يحكمن السيطرة حتى يسقط الشاب في شبكهن فيكون كالذباب في بت العنكبوت ورغم معرفتنا لذلك إلا أننا نستمر ف ي حبهن, لأن الله أحب أن يكن مالكات لأقوى مدن الحنان والرقة والجنون الانسيابي .

نادية :ماذا دهاك يا كريم ؟ أنا نادية ابنة عمتك ,أنا في بيتكم الآن

كريم :حبيبتي نادية ,هذه الغرفة ستكون لي ولكي ,فأنا أريدك لجانبي فقد اخترتك موطنا ,أريدك حبيبة وزوجة وعشيقة ليس هذا فقط ,بل أما وأختا وصديقة.

نادية وهي تمد يديها نحو مفتاح الباب :دعني أذهب أرجوك قلبي غادر مكانه فزعا قلت لك منذ زمن أني لا أريدك ,وما جمعنا يوما لم يكن إلا عاطفة وفضولا في اكتشاف الاكتمال بالجنس الأخر.

كريم:لكني أريدك ويمكن أن أكملك.

نادية: أريد رجلا يحوني ويكسر جموحي, لاطفلا تائها أرشد ه في الحياة.

حاول كريم أن يقترب منها لكنا تصده محاولة الخروج لكنه وفي لحظة خاطفة يمد يده نحو خصرها نحوه بقوة وهو يردد: قلت لك أني أحبك أولا تكفيك كلمة أحبك ولأجلها مات الفرسان والأمراء, إني احتاجك لأجد الرجل داخلي, ألا تفهمين أحبك, أحبك.

تقاومه وهو يحاول أن يحتك بها بكل ما يملك من قوة, وحين تفلت تمد يدها وتصفعه وحين توقف صدى تلك الصفعة كانت كل عبارت كريم قدغادرت وحين استعادت نادية أنفسها تكلمت.

آسفة كريم, فأنت لاتحبني, أنت فقدت كل المشاعر التي تربطك بالناس ,ولم يعد في داخلك سور ذكرى لمشاعر الطفولة التي جمعتها... أنا أتمني لك الخير, لكني لست المرأة التي تقدر على مد يد العون لك فأنا ضعيفة وبالكاد أحمي نفسي ... سامحني خرجت نادية تاركة كريم يتحسس مكان الصفعة التي حطمت كل أحلامه وجعلته يدرك من أنه لاشيء فكيف له أن يظلم وإياه نادية التي لم ترى والدها, ولم تقر عيناها بحب والدتها إلا لعشر سنوات , هي حقا تحتاج رجلا ليكون لها الأب والأخ والصديق ثم الزوج والحبيب

وبالرغم من ذلك ماكان ينبغي لها أن تنكر حبه لها , فهو حقا عرف الكثيرات لكنه كان يقيم أنوثتهن وجمالهن بها فأي حب أكثر من هذا يمكن أن يخرج من قلب كقلب كريم.

لم يذرف أي دمعة بل انتظر شروق الشمس ليخرج قبل أن يلمحه أحد , وعاد إلى عمله وهناك كان يتصل بها من حين إلى أخر, لعل شمعة الحب ستنير الظلمة في حياته, لكن لم يحدث ذلك بل حدث أن أرسلت له رسالة قصيرة عبر الهاتف تخبره أنها ستتزوج من أخيه الذي يكبره سنا وهو الضابط في صفوف الجيش الوطني.

نادية وجدت الرجل المنشود ,وكريم لعب بأخر ورقة له لها وهو يدري أنها خاسرة ,حين قرر أن يصغي لأوهام الحرقة وأبطالها ,لأنه بالضفة الأخرى يمكنه أن يكون رجلا.

الجلة إنها المغذي الحقيقي للحرقة هذا المفهوم الذي يجبر عليه الجزائري وهو في المهد صغير عليه أن يكبر وهو رجل فلا يعيش مراحل حياته كسائر البشر بل ينبغي أن يولد ويترعرع ويعيش ويموت رجل.

قرر كريم الذهاب إلى الضفة الأخرى ليحضر المال وبذلك يتسنى له أن يرى باب عائلته يفتح له ,وحب والديه يزهر لأجله ,جمع المال المطلوب وهاهو الآن بهذا القارب ينتظر مصيره.

المرأة العجوز

عندما طويت صفحة كريم بدأت صفحة جديدة دون مقدمات من الموجة, وبدأت معالم كلماتها تتوضح على رنات صوت تخنقه بحة قاتلة , بما تحويه من ألم وغصات قلب وانكسارات فؤاد , قدم بدون أي مواصفات سيدة في عمر الخامس بعد الخمسين , سيدة هزلت وشحبت والتف الجلد حول العظم محكما الالتصاق فتظنها لوهلة أنها محنطة غادرت أحد التوابيت بالأهرام الفرعونية وإن غابت عن ذهنك هذه الفكرة ستؤمن حتما بأنه وفي هذا العالم الذي نحياه لا العالم الذي تنسجه الأحلام الساذجة ظهرت أول ضحية حتمية للأسطورة " دراكولا , " لأنه لو امتدت بصيرتك وحاولت قطع أحد شرايينها فأبدا لن تجد إلا أنابيب اختبار فارغة دست عنوة بين الجلد والعظم وحين تمد بصرك إلى مرفأ العيون فإنك لن تجد إلا حاجبين رسمتا حدودا علوية لمغارتين بدون شك قد حوتا أسرار هذا الجسد وانتماءاته.

لكن بالرغم من ذلك فنظرة متسللة إلى أحداق تلك العيون تؤكد أن حاملهما امرأة من قبائل الزيتون , منبع الصفاء في حنايا الهواء العليل والجنة الخضراء الغناء , عينين صغيرتين على حجم تلك السيدة , صغيرة هي البؤبئتين اللتين حملتهما الحدقتين على قدر حبات الزيتون , براقة تكاد تجزم أن الزيتون قد استوحى بريقه منهما أو ليس ذلك غرور الإنسانية في وجه تواضع كل المخلوقات.

بدأت:

أتعرف كريم لو أن الحياة منحتني ابنا بمثل رقتك وحنانك وضياعك ماكنت لأركب هذا القارب بل أرعاك حتى أخر نفس في حياتي , لأنها

الحياة غريبة منحتني الحب والعاطفة في داخلي لتقابلني بأولاد في جوفهم لا يوجد غير محبة الذات , بينما والديك الذين قرر منح الأبوة لأوراق المال منحتهم طفلا مليئا بالرقة لايريد إلا عالما مليئا بدلال الأمهات . وما كنت مضطرة لأحلم بالضفة الأخرى حيث تكون ابنة زوجي لأجد عندها عطف الأولاد ,عطف حرمت منه وأنا فتيحة أم السبعة أولاد وجدة لثلاث أحفاد .

بدأت مسيرتي لأصل إلى هنا توكل والدي على الله وعقد قراني على خالد بالرغم من علمه أنه سبق له الزواج لكنه لم يدم فقد طلق زوجته لأسباب غير معروفة بعد أن كان له منها سمية , طلق زوجته وهذه الطفلة لم تتجاوز السنة لكنه لم يتركها تأخذها معها ذهبت تاركة ابنتها وراءها مؤسسة حياة جديدة بكل بساطة تفرضها العادات الجزائرية قبل الأب زواج ابنته فتيحة بخالد مرسلا إياه معه إلى حياتها الجديدة بالجنوب الجزائري مرتاح البال لأن خالد لم يظهر سوى الأدب والاحترام والرغبة في أن تكون له زوجة يكمل حياته معها وترعى ابنته .

لم تبدأ فتيحة حياتها كسائر الزوجات فبمجرد وصولها إلى بيتها بواد سوف أخذت تؤدي دور الأم أكثر من دور الزوجة واكتشافها المتلاحق لطباع خالد الجوفاء التي لا تنم إلا على السخط والجبروت ,لكن بالرغم من ذلك تحملت لأنها أحبت سمية كثيرا ولم يمض العام حتى منحها الله ابنتها هدى وتتولى الأيام والشهور والسنين ليصبح لها ابنة ثانية وهي كوثر وفي فترة رضاعتها لكوثر تأزمت العلاقة بين الزوجين وحين ذاقت بها الدنيا بما رحبت طلبت من والدها المجيء

وحين أتى ورأى حالها تلك طلب منها جمع حاجياتها ومرافقته إلى بيته .

خالد لم يعارض أبداه أنه منعها من أخذ سمية معها لأنها ليست من شأنها , حاولت فتيحة إقناعه كثيرا بترك سمية تذهب رفقة أختيها , لكنه رفض رفضا قاطعا وكان لها أن تغادر وتترك سمية وصدى بكائها لم يغادر مسامها حتى شارفت على نهاية شارع ذلك الحي .

وبعد مدة من الزمن عادت إلى بيتها لم يرق ذلك خالد كثيرا لأنه كان يريد أن تطلب الطلاق فيمنحه لها دون أي نفقة وحين لم يحدث ذلك , ثارت ثائرته وتجلى ذلك لفتيحة عندما اقترب منها مرة وهي ترض كوثر حاملا سكينا يستعمله عادة لنحر الماشية انحنى نحوها مادا يده الضخمة , لم يأتي في ذهن فتيحة شيئا إلى أن سحب أحد ثدييها وهم بقطعه , كاد ذلك يحدث لو لم تنتفض فتيحة بسرعة منقذة نفسها وابنتها وهي تصرخ مستنجدة بالله وطالبة التعقل من زوجها .

هدأت ثورة الجنون تلك , لكنها لم تنجو من الضرب المبرح وهو يؤنبها لكونها عادت وقد طردها . تغاضت فتيحة عن كل شيئ وأرغمت نفسها بالرضى ,ومضت في حياتها ترعى أولادها الذين صار عددهم على مر السنوات سبعة أولاد, لأنهم كل ماتملك جعتهم يتفرغون لدراستهم باعت كل ماتملك حتى قطع الذهب التي كانت لها من أهلها لأنها وبعد وفاة والدها قلت ذخيرتها التي كانت يرسلها لها , وما عاد يصلها من أهلها إلا الشيء القليل من النقود التي ترسلها والدتها لأن خالد كان أبا شكليا فقط لا يهتم إلا ببطنه وبمأدوبات الأكل التي تقام بقريته وغيرها من القرى المجاورة.

تتخرج هدى وبمجرد أن تبدأ العمل بدأت تفكر في جمع المال لتجعل من نفسها عروسا مغمورة بالحظ وتتناسى إكرام والدتها حتى بالشيء القليل ,تتزوج زواجا مدبرا من سليمان ضابط الشرطة بالعاصمة مما يعني غيابه المتكرر والطويل عن المنزل , جعلت هدى من والدتها الأم البديل لولديها الذين رزقت بهما لأنها المرأة العاملة والمكافحة لأجل مستقبل أولادها.ورأفة شكلية بوالدتها كانت تترك لها راتبا شهريا بالكاد يسد حاجيا ولديها اليومية , الأم الجدة عاثرة الحظ قد تناست كل شيئ ومضت في حب حفيديها ورعايتهما بكل ماتملك.

تتخرج كوثر بشهادة في طب العيون وفي بداية مشوارها العملي عملت كطبيبة بإحدى المستشفيات وما فعلته كوثر غطى تماما على تقصير هدى , مما جعل الوالد يزداد نفورا من بناته , فكوثر كلما استلمت راتبها الشهري تتوجه أمام أعين والديها نحو حقيبة بخزانة العائلة لتضع راتبها وتغلق الحقيبة بقفل له مفتاح تحتفظ به ولا وتقدم لأمها دينارا واحدا , عرفانا لسنوات التضحيات التي ولت.

تقدم لخطبتها العديد من الشباب بحكم عمله المربح ,وكان لها أن تزوجت زواجا مخطط له ليكون صفقة تجارية ,فزوجها عمر اتفق معها على أنه في حال الزواج سيوفر لها عيادة خاصة على شرط أن يتقاسما الأرباح .استطاعت التعايش معه لأن أفكارهما معا مادية بحتة ,كوثر كانت قاسية جدا حين تأتي لزيارة أهلها ولا تحضر شيئا وحين تهم للعودة تأخذ كل ما لذ وطاب لزوجها .

قسا قلب الأم لكنها لم تظهر ذلك وتأكدت الدنيا من ذلك حين ركضت الأم نحو المستشفى دون تردد ولا إذن من زوجها حين اتصلت بها

كوثر وأخبرتها أنها ستنجب ابنها بعملية جراحية , لم تلق فتيحة حتى الشفقة من أولادها , ولطاما سدت على قلبها وذهبت تطلب معونة كوثر في مصاريف دراسة إخوتها لكنها لا تمنحهم شيئا .

حتى ميراثها من والدتها التي توفيت بعد مصارعتها للمرض لست سنوات أرسلته لأولادها بالجامعة رغم أنه كان نصيبا زهيدا جدا تخرج أولادها وانصرفوا جميعا لحياتهم وكأنهم أخذوا القسوة من والدهم الذي لم تظهر على فروة رأسه شعرة شيب واحدة ولا خطا للتجاعيد.

أخذت الشيء اليسير من عطف وحنان ولديها نجاة وناصر الصغيرين لكنهما لم يتخرجا بعد ,نجاة عامها الأول بالجامعة وناصر يصارع بالمرحلة الثانوية .

تحدث الفاجعة في أحد الليالي حين يطرق الباب في جو عائلي مشحون بالغضب بسبب غياب ناصر لساعات طويلة حتى حدود منتصف الليل, توجه الوالد نحو الباب سواطه الذي اخذ التمرن عليه على جسد فتيحة وبعدها بالأمر اليسر جدا على أولاده الذين لطالما حمتهم منه بالتستر على غلطاتهم ومعالجتها إلا هذه المرة فقد فقدت السيطرة على تصرفات ناصر , يفتح الباب وتنظر فتيحة أن تسمع صراخ ابنها المدلل و الابن الذي مارس عليه إخوته مختلف أساليب الضغط , لأنهم الملائكة الذين لا يخطئون , فجعلوه يزداد عنادا في مرافقة أصحاب السوء لكن فتيحة انتبهت أن زوجاه قد خرس عن الكلام وخارت عصبيته , فركض نحوه وماهي إلا لحظات حتى يدخلون جثة هامدة للبيت .

ناصر لم يكن نائما بل خلد إلى مثواه الأخير , مات ناصر ولا حاجة للباقي الحال , سوى أنه وري تحت التراب , بعد أن انتشر خبر موته حين قفز للسد كي يسبح بسبب حرارة أيام الصيف مات ناصر وتعبت فتيحة , ولم تجد ملجأ خاصة بعد أن تزوج ولديها وعزما على تقسيم البيت بينهما دون المراعاة لها ولا لإخوتهم البنات ولا حتى للجبار والدهم . وفي كل هذا الأسى وخيبات الألم أرسلت لها ابنتها سمية من الضفة الأخرى رغيتها في أن تأتي للعيش معها التي كانت قد ذهبت للعيش عند والدتها بعد أن تعب الوالد من عناده .

كبرت وسافرت للدراسة بالخارج وبعد تخرجها مكثت هناك لأن عملها كان بالسفارة الوطنية بفرنسا , لم تجد فتيحة من يساعدها على السفر هازئين بها ففي نظرهم ما الذي تبقى لها لتسافر , في غمرة الغضب خرجت من ذلك البيت أخيرا وذهبت لتمكث أياما عند إخوتها وهي تجول بشوارع المدينة جلست لترتاح تحت شجرة بإحدى الحائق , وهناك استرقت السمع لمجموعة من الشباب يعتزمون على الهجرة إلى الضفة الأخرى وبدون تردد شاركتهم الحديث وعرفت المطلوب ولم تشك في إمكاني غد

رهم لها بعد أيام حضرت المبلغ بعد أن تنازلت عن قطعة أرض لأخيها والتقت بأحد الشباب شارحا لها وضعية الهجرة لعلها تعدل على قرارها لكنها مصرة فما كان إلا أن اصطحبها إلى القارب ليلا وما لها هم إلا أن تصل إلى سمية .

قبل أن تودع الموجة صقر قال لها:أتراها ماتت الأم الرءوم لهم في ذلك القارب المشئوم .

عد الأيام

أطلت الموجة على صقر وألقت عليه تحية الصباح وسكتت تتأمله لعله يقول شيئا , وعندما علم صقر ما بداخلها قال ـ وذلك بعد أن تربع كعادته على الرمل ـ : موجة كل يوم يزداد يقيني بثقل الأمانة التي تحمليننني إياها لدرجة أني أفترض وجود ابني أيوب بيننا ويتعرض لهذا دون أن أستطيع فعل شيئ له .

الموجة : أنا آسفة ياصقر , لكن على الأحداث أن تصل إلى المجتمع وإلى شباب المستقبل , لأنه أمر رهيب جدا وهم يصارعون ابتلاعي لهم ليمضوا إلى أعماق البحر وهم يحرضون كل خلية من أجسادهم لتساعدهم على الطواف فوق , لكن تلك المقاومة توسع خلاياهم ويستمر الماء المالح في اختراق خلاياهم رغم أنهم لطالما أحكموا قطع أنفاسهم لأنها في نظرهم الطريقة الوحيدة لمنع ابتلاعهم الماء , رويدا رويدا تثقل أجسادهم فتخير قواهم ولم يعد هناك مناص من الانسياب إلى أعماق البحر وحين يأخذ أرواحهم يطوفون فوق أو يحملهم على ظهري لأرمي بهم إلى الشاطئ.

ـ لأن تسمع لقصة اليوم ؟

صقر :ما الذي تقولينه يا موجة ـ هي النبع الذي أرتوي منه كل يوم لأجل هذه الحياة ـ أنا أسمعك.

الموجة : بعد أن أملت فتيحة قصتها تكلم شاب امتلك كامل صفات الهدوء والاستسلام لما كتبه الله لعباده , وكان شاب طويل القامة , معتدل العضلات , تلفها بشرة سمراء ترافقها انحناءة خجلة , يملك طفلا

لروح رجل مسن لم يرد أن يقاوم الأيام ، ربما ليبقى طفلا ينتظر ويعد الأيام للقاء أمه .

قال أسلام أنت كنت ضحية لامرأتين لكني طنت ضحية لعد الأيام :

خليل :أمي أمي.

الوالدة : ماذا هناك ياخليل ؟

خليل :الرجل الذي يأتي لزيارتك كل شهر هنا يا أمي .

الوالدة:لحظات ,الوالدة كانت تغسل الأواني بالمطبخ ,شردت للحظة نحو الجدار ثم ابتسمت لتستدير نحو خليل بابتسامتها وهي تزيل أثار الصابون من يديها بالمنديل .

الوالدة : لقد أتى الرجل إذا ,لقد تأخر هذه المرة ألا تظن ذلك ؟

الوالدة:أدراني يا أمي لازلت لأجيد عد الأيام .

الوالدة : هناك سؤال يشغل بال والدتك هذه اللحظة.

خليل : ماهو يا أمي لكن أسرعي فالرجل بغرفة الضيوف ينتظر.

الوالدة : ألا تعرف من هو ياخليل ؟

خليل : لا يا أمي لكني أحب قطع الشكولاطة التي يحضرها لنا أنا وإخوتي .

خليل ::حسنا يا خليل لنذهب إليه وليعرف بحاجته لنا .

خليل : لكن ألن تعدي له القهوة ؟

الوالدة :لنسلم عليه أولا.

عندما وصلا لغرفة الضيوف نظر ذلك الرجل لخليل . الرجل : تعالى يا ولدي ألن تسلم على والدك ؟

نظر خليل لأمه باستغراب بينما واصل الرجل الكلام :ما بك خليل ألم تشتق لوالدك ,ثم أ ين جميلة ولبنى.

الوالدة بعد أن اقتربت منه وسلمت عليه قالت :هما بالمدرسة.

الوالد :ماذا دهاك يا خليل, وجذبه إليه وأخذ يقبله ويحتضنه, وما كان على خليل سوى أن نظر لأمه وقال : أصبح لي أب مثل كل أصدقائي بالروضة.

ذهل الوالدين وحين انتظر الوالد إجابة عن هذا الموقف طلبت الوالدة من خليل أن يذهب ويحضر نفسه للأجل الذهاب إلى الروضة.

بعد أن خطى خطواته إلى الباب قال : إذن سيرافقني أبي إلى الروضة .بعد أن توارى خليل عن نظرهما قالت الوالدة : أرئيت يا أحمد ماذا جنينا من وظيفتك هذه , إن خليل يظنك رجلا غريبا يأتي لزيارتي.

أحمد :ماذا أفعل هذا ماكتبه الله لنا.

الوالدة :لكن متى هذا الحال ؟

أحمد : لا أدري ـوبعد حركة هرب ماكرا من المسؤولية ـ واصل كلامه :أنا متعب وأريد أن أنام . ـأعد الحمام يافاطمة.

الوالدة :حسن سأعد الحمام وحسبي الله ونم الوكيل ـ هذا يعني أنك لن ترافق ابنك ؟

هز الوالد برأسه رافضا الأمر بكل بساطة , هكذا كانت زيارات أحمد لأهله وكل ما مضى الزمن يزداد وعي خليل في عد الأيام والشهور التي لا يرى فيها والده , وتعرفه المتتالي على قسوته التي هي الميزة الوحيدة التي عرفها عنه , وكلما زاد ذلك زاد الضغط على الوالدة في رعاية أولادها.

ذات يوم وذلك حين بلغ عمر إحدى عشر سنة كان على الوالدة أن تقرر مصير أولادها فزوجت ابنتها جميلة وهي في سن الثامن عشر بينما أبقت لبنى تحت رعايتها بينما القرار الذي اتخذته بشأن خليل كان أقسى قرار قد تتخذه الأم اتجاه ابنها وخاصة إذا كان هذا الابن هو خليل ابن فاطمة , الابن الذي لطالما أنس وحدتها بحركاته ومواقفه المشاغبة , ونزع الضيق والهم من قلبها بحانه ومداعبته للدموع بأنامله , الدموع التي كان سببها الزوج القاسي , والأب غير مبالي.

كسائر الأيام استيقظت الوالدة وأعدت الفطور لولديها ,بعد إيقاظهما , ليحظر أنفسهما للدراسة ولما أكملا توجها إلى الطاولة الإفطار وأخذ يتناولان فطورهما في تلك اللحظة كانت الوالدة قد قررت ألا تغفل نظرها عن ابنها خليل .تراقبه وهو يتناول إفطاره ويتكلم من حين إلى الأخر عن يومياته في المدرسة وعن أصدقاءه.

هذه اللحظة بالنسبة لوالدة ترى أن أولادها حوصلة مخاض لأخطاء لاتحصى ولاتعد لأشخاص كثر كبيرهم والدها وصغيرهم فاطمة التي تناولت وتغاضت عن أخطاء زوج لايبرز أبوته سوى أنها مقدرة من

الله عز وجل , لحظة لن تتكرر بعد هذه الساعة والوالدة هي الوحيدة التي تعرف السبب .

تكلم خليل :أمي أرغب أن ترافقني اليوم إلى المدرسة.

لبنى :هل فعلت شيئا مشينا ؟

لبنى :منذ متى أفعل ذلك .

لبنى : إذا ماذا أفعل هنا ؟

خليل :مللت الذهاب معك وصديقاتك وحكايات البنات التي تحكونها.ابتسمت الوالدة ثم قالت : لبأس, حتى أنا كنت أرغب في ذلك اليوم.

خرجت العائلة إلى معترك الحياة, توجهت لبنى إلى صديقاتها, وبينما أمسك خليل بيد أمه وهو في كامل سعادته.

خليل :أمي أتعلمين أني أسعد إنسان اليوم ,ولا أظن أن هناك من هو أسعد مني.

الوالدة : ولما كل هذا ياولدي .

خليل : اليوم أنا أداعب ذراع أمي بأذني أسرق السمع لدقات قلبها , وأتحسس حنانها ونعومة الأمومة لديها بخدي كي يتسنى لي أن أستشعر وجودها كلما اشتقت لها , الوالدة لم تكن تتكلم بل كانت تبكي وتتحسر لأن الله منحها طفلا بكامل هذه الرقة والنباهة, لكن خليل لم يكن ينظر لذلك , لأنه أراد أن يعيش تلك اللحظة حسب طفولته . إلى أن تقول الوالدة : خليل تعال لنجلس قليلا بهذا الكرسي.

خليل سنتأخر عن المدرسة ؟

الوالدة :أنا جلست ,تعال وجلس أريد أن أكلمك في أمر .جلس خليل لجانب أمه ينتظر الكلام.

تكلمت الوالدة :أتعرف أن اللبؤة حين تحس بالخطر على أولادها تأكلهم.

خليل :قيل لنا في المدرسة أن ذلك يعني حس الأمومة والحب القوي لديها

الوالدة :لو سألت اللبؤة أولادها ,إن كانوا سيسامحونها ,فماذا ينبغي عليهم أن يقولوا في نظرك.

خليل : طبعا سيسامحونها لأنها أحبتهم قبل أن يولدوا أصلا.

الوالدة :لو فعلت معك الشيء نفسه هل ستسامحني.

خليل وهو يضحك:لكن أمهات البشر لا يأكلون أولادهم لكن رغم ذلك أسامحك

الوالدة :بعد أن وقفت من مكانها قالت :إذا تعال معي.

خليل بعد أن وقف :ماذا يا أمي هل ستأكليننني حقا .أنا فداك ياأمي عند الحاجة . ومشيا في صمت لبضع دقائق , وبعدها توقفا وأشارت الوالدة على خليل بأن يقرأ اللافتة الموجودة على جدار مبني أمامهما.

قرء خليل دون تردد: قرية الأيتام نظر لوالدته مواصلا كلامه : لما أتينا ياأمي إلى هنا ؟ . أ ه تذكرت أن لبنى أخبرتك عن الرحلة التي سنقوم بها في المدرسة إلى إحدى قرى الأيتام .

الوالدة :لندخل وستعرف.

خطواقوة ذراعإلى ذلك المبني والأشخاص الذين مروبهم كلهم كانوا محض خيالات. لكن قوة ذراع خليل كانت تظهر للوالدة كل لحظة.

في مكتب المدير بدأت الوالدة تتبادل أوراقا لم يك يعي خليل ماهي لأنه كان يتأمل المربين والمربيات الواقفين بانتباه إليه وهو يظم محفظته بين ذراعيه, ولما انتهى كل شيئ طلبت الوالدة من الجميع تركها مع ابنها للحظات, وقد كان لها ذلك . الوالدة وبدن أي مقدمات.هنا ستعيش يا خليل مع هؤلاء الأطفال الذين هم بالباحة.

الوالدة :أمي ألن تبقي معي ؟

الوالدة : لا يا ولدي هنا ستعيش معهم وليس معي.

خليل :أيعني أنك تركتني هنا ؟

الوالدة :لمصلحتك فعلت ذلك.

خليل : باليتك يا أمي أكلتني مثل اللبؤة ولا تركتني لوجدي.

اقتربت منه وقبلت رأسه ثم إحتظنته بقوة وهي تقول : لكنك قلت بأن الأولاد عليهم مسامحة أمهاتهم.

خليل :لا أدري لما وضعتني هنا ,ولكن لا تقطعي زياراتك عني حتى لا يقال عني مجهول الهوية.

الوالدة :طبعا يا ولدي سأزورك كل نهاية أسبوع .ولن تكون مجهولا بل بطلا يا أمي ناجحا تفخر أمه به.

خليل : سأعد الأيام يا أمي.

خرجت الوالدة دون أن تلتفت لابنها بينما هو لم ترمش عيناه خنها حتى توارت عن الأنظار ,بعدها أخذته إحدى المربيات إلى الغرفة معرفة إياه على أصدقاءه وإخوته .لتعرفه بعدها إلى إخوته بالغرفة العائلة التي سينشأ معهما . بدأت الأيام والشهور والسنوات تمضي وهو يعدها لأجل لقاء أمه. التي لم تخلف موعدا لها ,لكنها غابت عن أهم اللحظات من حياة ابنها.

نشأ خليل بالقرية وهو بالمرتبة السادسة في التفوق الدراسي. بدأ بقرية الأيتام طفلا حساسا لكل ما يحيط به ,مليء بالحب والعطف لعائلة أبعدته عنه ,لكنه رغم ذلك كان طفلا مثالا لكل إخوته بالقرية.

وعندما انتقل إلى مرحلة المتوسطة ,وهو يستعد لاجتياز شصمت,التعليم المتوسط بدأت الوالدة تخلف مواعيد زيارتها ,وعندما تأتي في المرة القادمة.تحتج بالظروف لكن الحقيقة هي أن الوالدة كانت تموت في صمت , وخليل لم يدرك ذلك إلا عندما تمددت أمه بالفراش منتظرة رحمة الموت . عندها لك يفكر خليل في شيئ سوى أن يجمع حاجته وجل ذكرياته من القرية ويسرع إلى أمه ليخدمها ويرعاها ليس رحمة وإنما لتعيش, لكن ذلك كان مستحيل المنال . فبمجرد خروجه من القرية وارتماءه بين أحضان والدته توفيت.

أتي الوالد أحمد ليرمي التراب على زوجته, الزوجة التي قتلها منذ زمن بعيد, أكمل مراسيم الجنازة وذهب لحل سبيله دون أن يسأل على حال أولاده, أما خليل فقد كل شيئ, حتى نبع الحنان الصافي توقف

مجراه, وماكان عليه إلا أن يفجر تلك الأشواق والعواطف في كلمات من الشعر الملحن. ودموع كانت قدر سمت مجراها على حديه منذ زمن , ربما منذ أن كان في بطن أمه وهو يشعر بمعانيها , وربما منذ أن كان طفلا يملا حياتها بالشقاوة ليعيد عنها شيئ من الهم, وربما منذ أن تم نفيه بقرية الأيتام , وكنت له أن يكون بن قرية رغم وجود أهله على قيد الحياة .

الواحد والعشرين عمر خليل , هنا قرر بناء حياته وأول خطوة كانت الزواج ليحمي نفسه من نفسه ومن مكائد الحياة كلها وليضمن انتماءه لعائلة يبنيها , يهتم بها وتهتم به , ولأجل أن تكون خيارات الفشل ضئيلة لم يرد أن يختار فتاة في عمره وإنما توجه لطلب الزواج من امرأة سبق لها الزواج وهي أم لطفلة.

عندما قصد أهلها وكلم والدها عن كامل تفاصيل حياته ورغبته في الستر له ولابنته المطلقة , افتخر به ذلك الرجل وبرجولته الصافية الخالية من كل الشوائب , فأراد أن يزوجه إحدى بناته الأخريات , لكنه رفض لأنه طرق الباب بعد أن عين طلبه.

تم الزواج على بركة الله , وأصبح لخليل أخيرا عائلة يمنحها الحب والرعاية مضت سنة الزواج أعطى الله بعده خليل أسامة الابن الذي ركز أعمدة بيت العائلة ولتكبر ملكية السعادة لدى خليل حضي بفرصة عمل بإحدى الأول , فرصة انتظرها منذ زمن بعيد , فذهب إلى العمل دون أن يناقش أي أمر ذهب وترك العائلة موطن السعادة ليعود لهم بعد مرور مدة وهو يحمل الكثير من المال لزيد سعادتهم وهناءهم , عاد بعد

سنة لم يرى فيها عائلته , ولا يسمع عنهم شيئا , سوى الشيء القليل من الأخبار التي تخبره بها زوجته عبر الهاتف.

في يوم ربيعي زاه جميل بزهوره البيضاء التي وضعت في هندسة متناهية في الدقة على وشاح أخضر جميل , كان قد غطى بلدة خليل ذلك الأب المغمور بالأشواق يترجمها الكم الهائل من الهدايا التي أحضرها لولديه وباقة الزهور الجميلة التي أخذها خلسة وهو ماض في طريق بلدته وصل إلى بيته.

طرق الباب وهو يتأمل رؤية لهفة أولاده , طرق الباب مرة أخرى لربما تطل عليه زوجته وهي تحمل شيئا من المطبخ لان الوقت كان وقت الغداء , طرق المرة الثالثة لعل الجميع نيام ثم طرق وطرق والباب لم يفتح لكن النافذة ففتحت فابتهج وحار وتكبر حيرته وتضمحل بهجته حين رأى أن النافذة التي فتحت هي نافذة جاره الذي نظر له وقال : اذهب إلى المحكمة وستجد عائلتك هناك.

نظر له خليل لعله يوضح لكنه لم يفعل ,ضاع خليل في ملكوت الله لحظات ,حتى اهتدى إلى اتصاله بأحد أفراد عائلة زوجته ليستفسر الأمر هنيهة حتى تم الرد على اتصاله.

خليل :مرحبا كمال.

كمال : مرحبا ـ ماذا هل أنت هنا بالبلدة ؟

خليل : نعم يا كمال أنا بالبلدة وأنا واقف أمام إطلال عائلتي ـ ماذا حدث ؟

كمال :أنا لا أعرف

خليل : بالله عليك من يعرف غيرك ـ أخبرني ماذا حدث فقدماي لم تعد تحملانني.

كمال :الحقيقة هي أن...

كمال:ماذا كمال هل أصابهم مكروه ؟

كمال : كلا هم بخير لكن زوجتك رفعت عليك دعوة خلع بالمحكمة.

خايل : ماذا... ـ لم تفعل ذلك ؟

كمال :هذه هي أمنة أولا تعلم أنك الزوج الثالث في حياتها هي لا تجيد الانتظار والصبر.

خليل : لكن لازلت لا أفهم ماحدث, ولما كل هذا.

كمال : اذهب ياخليل وابحث عن أولادك وضمهم إليك ولا تتركهم معها .

أقفل خليل الخط ليفلت الهاتف من يده وأخذ يردد وذلك بعد أن جلس على صخرة كبيرة بجانب منزله :

ياما دفنتك تحت التراب وأنا بن القرية

دفنتك وواريتك والنار بين جواجيا

جريت وهربت وبنيت عايلة وانا مغمض عينيا

وقطعت وردات الطريق باش نعطيهم لضي عينيا

ياما قلبي نار قاديا على كبدي كون تراعي عليا

يا ما علاش روحتي بعدك واش كون يطبطب عليا

وأخذ يخطو خطواته نحو المجهول وعندما علم أن رغبة أمنة ملحة في الطلاق وأنه لم يعد يلزمها زوج يهاجر دائما , منحها الطلاق لأجل ولديه الذين لم يجدهما كما تركهما , فبعد أن كان له ابنة هي لزوجته وابنه أسامة , أصبح له أسامة وابنة لم تتجاوز الشهرين منحتها الوالدة اسم نعمة الله أما ابنتها فقد توفيت إثر حادث سير بعد أسبوع من سفره وكل هذا ولم تخبره أمنة بأي شيئ.

بعد أن منحها الطلاق قضى مع ابنه أسامة يوما رائعا حفر في ذاكرته فرغم صغر سنه إلا إنه تمكن من منح والده لحظات لا تنسى وعندما أعاده إلى أمه طلب منها أن ترعاه بالحب والحنان وألا تقصر في تحقيق رغباته ورغبة نعمة الله , ذلك الحب البريء الذي لم يتمكن خليل من ملاعبته لكنه حظي بصورة لها يضعها في محفظته , وإن احتاج شيئا ولتقر عليه تطلبه وسيحققه لهما.

عاد خليل إلى عمله ولم يعد إلا بعد خمس سنوات لأنه خاف أن يفعل ما فعله والده يوما , عاد على أمل أن يجد أن أمنة لم تتزوج وقد اختارت العناية بولديها , لكنه وجدها متزوجة وأم لطفل من الزوج الجديد مما جعله ينهي عمله ويبقى ببلدته ليعيش بجانب أولاده وحين أراد الاقتراب منهم وجدهم سعداء مع زوج والدتهم.

فحين توجه خليل لزيارتهم وهو محمل بالهدايا ووصل عند عتبة الباب سمع ابنه أسامة ينادي والده ليرمي الكرة.

ظن خليل للحظة أنه يناديه لكنه عندما استدار وجد زوج الأم هو المعني بذلك الشرف.

انكسر قلبه لضحكات كبريائه المتعالية وهي تردد " أحمق من تظن نفسك بالنسبة لهم , ولقد علمت أن زوجتك أنكرتك دائما فكيف لها أن لاتنكر وجودك أمام أبنائك أحمق مسكين.

عندما لمحه زوج الوالدة أراد أن يخفف من ألمه وقهره بالترحيب والتهليل وأن يعرف أسامة بوالده .

خليل مقاطعا :أنا عمك يا أسامة ,عمك الذي يرسل لك الألعاب في كل مناسبة.

ثم نظر للزوج وواصل :هل يمكن لي أن أرى نعمة الله يا أخي.

وقبل أن يجيبه اقترب من أسامة وأخذ يقبله ويحضنه.

الزوج : طبعا يمكنك رؤيتها , هي بالروضة المجاورة ستأتي بعد قليل تفضل للدخول وانتظر عودتها.

خليل شكرا : أشكرك , لكن لو سمحت لي سأذهب لرؤيتها بالروضة وإعادتها إلى البيت.

خليل :ماذا ؟

خليل : لا تخف عمها ذاهب لزيارتها.

ذهب خليل لرؤية نعمة الله ,عندما وصل ولمحها تخرج استنارت حوله أنوار الفرح ,بقيت تقترب وهي الطفلة الجميلة صاحبة الظفريتين المسدولتين على كتفيها يتعبانها لأنها ضعيفة البنية ,اقترب منها .

خليل : مرحبا نعمة الله.

نظرت له وقالت : مرحبا من أنت ياعم ؟.

خليل :ـ أنا ـ أنا...

نعمة الله تذكرتك أنت عمي.

خليل : وكيف عرفتني ؟.

نعمة :رأيت صورتك عند عمي كمال وعندما سألته عنك عرفني بك.

خليل :ماذا قال لك عني ؟.

اقتربت نعمة من عمها وعانقته لأنه كان قد جث عل إحدى ركبتيه من الكلام الذي بثلج الصدر وواصلت .

ـ أخبرني عنك الكثير ـ فقلت له أنك أبي صاحب الهدايا.

خليل :أعيديها يا صغيرتي ـ ماذا قلت له ؟.

غريب لما تظلم الأنثى عبر العصور ومها كان سنها , فإنه لايمكن أن توجد الإمبراطوريات الرائعة المليئة بالمحبة وما يصحبها إلا هناك في قلب كل أنثى.

نعمة : هيا ياعمي , أقصد يا أبي لنذهب إلى المنزل , وأنا من ستعد لك القهوة.

خليل ـبابتسامة ـ :هل تجيدين إحضارها ؟

خليل:كل الذي أعرفه سكب القهوة بالفنجان .

خليل : حسنا لنذهب , لكن سأضعك على رقبتي , وأنت تحكين لي كل الذي تعرفين ولا تتوقفي على الكلام .

وكان ذلك وخليل يتمنى من الله ألا تنتهي الطريق ,ولكن الطريق انتهت وكان على الأميرة أن تنزل من على حصانها وضعها أمام الباب وأخذ يقبلها ثم منحها عقدا صغيرا من ذهب .

خليل : خذي يانعمة الله ولا تضيعيه فهو تذكار من أمي سيذكرك بعمك دائما.

نعمة :لكن ألم تدخل ؟.

خليل :لا يا ابنتي أنا مستعجل سأذهب رفقة أخيك إلى مكان وعدته به.

نعمة :حسن عمي أريد أن أخبرك سرا بيننا.

خليل :أنا أسمعك.

اقتربت من أذنيه وهمست :أريدك أن كون أبي الذي يرعاني بقلبه وليس أب الهدايا فأنا أعادلك في الحب مع والدي.

لم يسيطر خليل على دموعه , فمسحتهما نعمة الله .

تنهد وقال :أجا ابنتي نعمة .

عاود ضمها إلى قلبه وذراعيه يرغبان في لفها إلى الأبد , ثم غادر دون أن يستدير لها وهو يردد المثل القائل " إلي ماجاب بنات ما خلف ما مات " وكلت أمري لله يا أمنة لأنك حرمتني من حنان هذه النعمة.

بعدها أخذ ابنه أسامة إلى مدينة الملاهي وقضى الساعات معه لكنه طفل صلب لم يجد ترجم مشاعره كما فعلت نعمة.

انصرف إلى حال سبيله الذي لم يعد يجده ,جال وصال كافة الأماكن لعله يجد راحة باله وعندما تأكد أنه لو بقي لجانبهما سيدمر حياتهما اهتدى إلى هذا القارب وقبل أن يركبه كتب لآمنة رسالة لولديه يقول :

غبني أسامة ابنتي نعمة أنا لم أتركم لأني أريد ذلك بل كي لا أبعدكم على والدتكم وسأضل أرعاكم بروحي إذا لحقت بأمي في الملاء الأعلى وستكون أمكم وزجها سندكما الواضح بهذه الحياة.

أسامة اعتني بأختك وفي يوم زفافها إن تسنى لي أن تخرج تحت جناحي وإن لم يحدث كن أنت مكاني هذا إن تخلى زوج والدتكما عن ذلك.

نعمة اهتمي بأخيك وعوديه دائما في الصحة والمرض وأنتما في منزل واحد لكن عيادتك الحقيقية له هي بسؤالك واتصالك الدائمين به.

أمنة لحد الساعة لم أجد مبررا لغدرك لكن أنا أسامحك في كل لحظة من لحظات حياتي .إن اعتنيت بأولادي وتركت لي فرصة أن أكون والدهم في الحياة .سأذهب هذه المرة إلى الضفة الأخرى لعلي أصبح إنسانا ذا قيمة لن تخجلي بأن تعترفي لأولادك أنني والدهم .

عندما أكملت الموجة قال صقر :ما كان ينبغي له أن يتهرب من المسئولية ,كان عليه مواجهة زوجته على الأقل في حق الأبوة ,أتمنى أن يكون من الناجين لأجل نعمة الله .

شاب عادي

اقترب صقر بخطواته المتثاقلة المليئة بالهدوء والسكينة لمكان لقاءه بالموجة التي كانت تراقب خطواته لأنها كانت قد وصلت منذ برهة لتستقبله لأجل يوم جديد ومفاجأة مفعمة بآلام أبطلها وسذاجة قراراتهم فما غير ذلك يمكن أن يقال لهم , لو كانوا أحياء حين وصل صقر وتربع بمكانه على الرمل بعد أن ألقى عليها تحية الصباح وهو لا يزال يستطعم حبة التفاح يأبى في مضغاته أن تنتهي.

ابتسمت الموجة مداعبة إياه بقطرات المياه كي تقطع رابطه وتلك التفاحة .

نظر لها وقال :

أتدرين لم أتعود على تناول الفواكه في الصباح الباكر لكن وأنا قادم إلى هنا عرقلت هذه التفاحة خطاي وأغرتني بقطفها حين انعكس مصباح الباب الخارجي لبيتي على قطرات الندى التي اعتلت إنسانية شكلها الأحمر الذي حاول الذي حاول الإغارة على لونها الأخضر الذي كان منذ أيام وأنا أكلها تذكرت بساطة الجزائري فاغتم حالي لما حدث لأصحاب القارب لكن سرعان ما واصلت التلذذ بأكلها للذتها ولربما لترى أرواح هؤلاء الذين ماتوا البساطة التي تركوها.

الموجة :كيف ذلك ؟

صقر : لا أدري كيف غزت فكرة الضفة الأخرى عقول أبنائنا وأنا على يقين أنهم جميعا استطعموا لذة اللبن وتهافتوا بعد طول غياب للالتفاف حول قصعة الكسكسى أو الشخشوخة أو لفافات المحجوبة الحارة رغم رواج المأكولات العصرية إلا أن بيتا لا يخلو من ذلك فهو وأن حدث عار على أهله.

وكذلك حين تنضج شجرة للفواكه أو الخضار فإنهم لا ينتظرون وضعها في الصحون وتقطيعها بالسكاكين وذلك بعد غسلها , فهي نعمه الرحمان لتمسح بعض الشيء بأكف الأيدي أو تمرر على الثوب جهة الصدر أو منحدر الخصر لنسمي بسم الله , لتنشأ سيمفونية رائعة التذوق لأطايب الرحمان.

لذا لما هم يغفلون عن جحيم الضفة الأخرى فنحن نراهم في قصور من زجاج لكنهم لا يسيرون إلا منتجات التهجين فيرتفعون على الأرض متهمين إيانا بالقذارة في حين نجدهم يتألفون مع أغرب الحيوانات .

وحماية لحقوق الحيوان يشاركهم الكلب أكلهم ومشربهم ونومهم , المهم ياموجة لو استسلمنا لطوفان الكلام فنحن لا ننتهي هات ما عندك اليوم.

الموجة :لا تلمهم لأنهم من الذين ضيعوا طريقهم فبعد أن أكمل خليل سرد مآسي حياته بدأت حكاية مراد.

عندما اتبعت مصدر الصوت وميزته من بين عيدان الثقاب تلك , اجتمعت عندي كامل علامات التعجب حول شاب قرر إنكار وطنه والماضي منذ زمن في بناء بته بالضفة الأخرى ألا أنه ورغم ذلك نسي تفصيلا صغيرا لم يعره أي اهتمام لكنه تفصيل يدل على حقيقة واحدة أنه ومهما حدث فهو لن ينكر ولن يستطيع ذلك مهما حاول بأنه جزائري ,ذلك التفصيل هو أنه ولكي يتزود لبرد البحر وصقيعه ارتدى القاشبية التي هي من الوبر الخالص.

صقر :ماذا ...قاشبية ... أي أسى ياوطن وأي عقاب ياأمة وأنت ترمين بأولادك عرض البحر.

الموجة : عدل من رأس القاشبية ليتعرف عليه البقية فقد كان شابا ممتلئا قوي البنية أخذ كل أسرار الوسامة السمراء التي خذلها منبت الشعر في تفاصيل ذقنه , ولم يعطها مقدار مهابة سنه وهو في عمر الواحد والعشرين تأكد ذلك حين أخذ يمرر ظاهر يده على ذقنه كأنه يقول أنا رجل وهاهي لحيتي , تحدد منبت الشعر فيها , لكن تلك الوسامة السمراء توهجت فتنتها حين توضحت حدقتين حملتا نارين لعينين خضراوين تنغمسان بعض الشيء في لون أصفر لهاب , فاستكنت تدفأ على نارهما لعلي أكو ن دافئة عليهم لتبدأ الحكاية: بعد أن على صوت الزغاريد بدار أحمد , خرجت تونس من غرفة مكتظة بالنساء لموكب الأطفال بباحة الدار لتبشرهم.

تونس : ـ علي ـ بدري ـ قدور ـ اذهبوا لعمكم بالمزرعة وخذوا منه بشرى مولوده الأول مراد.

أخذ الأطفال بالصراخ والعدو خارجا من الدار ووجهتم المزرعة.

أما تونس فقد توجهت نحو الغرفة القصديرية بجانب من الحوش لتتأكد بأن من كلفتها بإعداد الطمينة قد قامت بعملها وقد وكل ذلك لذهبية عمة مراد , في حين أن الجميع مجتمع عند خديجة والدة مراد , لتعيد العجائز بعض مواقفهن في الحياة خاصة ما تعلق بالإنجاب وتربية الأولاد, وإن جرأت فتاة صبية واندست بينهن فذلك لأجل أن تأخذ بعض التفاصيل لتتم نسج أحلامها للأيام والسنين المقبلة , أما ما تبقى من نساء في مثل عمر خديجة فهن يستعدن لأجل التحضير لولائم الضيافة لأن مراد ولد ليزيد عدد الذكور لأحد أكبر عائلات القرية.

هكذا كان ميلاد مراد ليكبر في كنف تلك العائلة وهو يحمل اسم جده الذي توفي منذ سنتين قبل مولده ,أخذ عناية تونس جدة والده وهي كبيرة العائلة لأنه ما من مولود جديد إلا وقد أخذ نصيبا من رعايتها .مضت الخمس عشر سنة من عمره عادية جدا في اللعب والمرح وإثارة شتى المشاكل ولطالما كان يأخذ نصيبه من المشاكل التي يثيرها مع أقرانه فلا يعود إلى البيت إلا وهو جريح في رأسه أو يده أو قدمه وإن سلم من ذلك حتما يدخل المنزل وهو يقذف بأقذر المصطلحات التي يتعلمها من الشارع , خاصة حين يتعلق الأمر بمحاولة أقرانه بالقرية الالتفاف على أخيه الأصغر وضربه .

وهوفي هذا السن اضطربت الأحاسيس والإنفعلات في داخله خاصة بعد وفاة جدته نورة بعد مرض العضال الذي لزمها أربعة سنوات فاضطر إلى ترك الدار التي نشأ فيها الحفيد المدلل والمحبوب , والعيش في جو عائلي يتقاسمه فيه إخوة ذكور ليضطر أن يتقاسم معهم كل شيئ وكذلك عليه أن يتنازل لأنه الأخ الكبير.

لم يوفق في دراسته فتوقف في أخر سنة من المرحلة الإيتدائية وهنا يبدأ تأثير الوالد الذي يوجد في تفكيره المعدلات الروتيني لكسب دنانير لتعدد مصادر رزقه فبعد أن خاب أمله في التجارة مع خاله بالأراضي والمنازل وتدهور حال الزراعة عاما بعد عام , وتوجه مالكي الأراضي إلى البناء لأجل البيع والكراء , يبحث عن عمل دائم بعد جهد ساعده أحد رفاقه في إيجاد عمل بمصنع للبلاستيك كسائق شاحنة وتفكيره هذا تطابق مع أحلام ومتطلبات زوجته التي لاتنتهي , وبذا يقع مراد في دوامة مطبقة من الضياع بين أحاسيسه المرهفة التي يمكن أن تكون

جدته رحمها الله سببا فيها , وحسابات والده ومتطلبات والدته وسعيه الدائم لجذ الانتباه له لأجل الاهتمام والرعاية.

ولأنه في عائلة مستورة الحال رغم فروعها العتيقة لم ترعى ظروفه ولم تحاول أن تتعرف عليه فتوجهه وتمنحه الأفضل , خاصة وأن أخاه يوسف هو الأخر لم يوفق في دراسته , متوقف في نفس المرحلة لكنه يختلف عنه تماما فهو عملي يفكر بالمنطق لا يعمل قلبه في شيئ حتى تظن الظنون وهو صغير تم اقتلاع قلبه ووضع مكانه حجر فمجرد خروجه من المدرسة توجه إلى مدرسة للتكوين وتخرج بشهادة الميكانيكي بعد مدة وبدأ العمل مباشرة عند أحد المؤسسات لتتوضح له معالم حياته وتنجح مخططاته .

أما مراد فرغم أن فرص العمل منحت له مرارا إلا أنه لا يداوم بها لأنه لا يجد راحة باله, إما لسوء المعاملة او لأن العمل لا يروقه , لكن الحقيقة هي أنه ضائع لا يجد كينونة حاله.

هذا الحال جعله ينغمس مؤذيا دوره في كل حكاية يسمعها عن أصدقائه فبسردها في كونها حدثت له , فلطالما أرق حال أهله وأبكى أمه وأزعج والده حتى عمته حين يتصل بهم فيخبرهم تارة أن الشرطة أمسكته رفقة أصدقاءه مشتبها بهم أو أنها تلاحقهم لأنهم اعتدوا على فتاة فاشتكت بهم أو أنه قصد حانة وشرب حتى الثمالة من شدة حزنه على فتاة فارقته أو أساه من والدته التي لاتجيد ألا أخذ نصف الراتب الذي يحصل عليه والنصف الأخر يتقاسه مع والده في مشاريع لا يجني منها وخاصة ما تعلق الأمر بتربية المواشي والمتاجرة بها بينما الرعاية والاهتمام

حسب ضنه فكلها ليوسف أو ليس هو الصلب الذي لا يمكن أن يتغاض عن حق من حقوقه .

بينما مراد فهو يتمنى أن تستيقظ والدته وتعد له الفطور حين يكون ذاهبا للعمل أو تعد له أكلا يحبه وكل هذا لايحدث , وأمه لا تحب إلا يوسف وإخوته الآخرون .

ربما أن ذلك مجرد أوهام لكنه يقبلها ويجعلها جزءا من حياته , فيذهب إلى عمته ليشكي لها همه ويبحث عن الراحة وإلى من يصغي إليه خاصة وأن قصة الحب خاصته نشأت مع بنت جيران عمته لكنهما أجادا إنكار ذلك على بعضهما البعض على مر الزمان خاصة مع حكاياته على البنات التي لاتنتهي ورحلاته المستمرة بين ربوع الوطن.

كل هذا الألم لم يفده ولم يشف غليله فأدخل نفسه قي متاهة أقرانه اليوم وهي الحرقة, أي الهجرة إلى الضفة الأخرى فقد كبر في داخله هذا الهوس , حتى أنه ابتدع حكاته مع الأجنبية " الرومية " التي أحبته وتعلقت به وهي على اتصال وقاء دائمين به , تلك الأجنبية الحسناء صاحبة الشعر الأصفر المسدول وتعاريج الجسم المذهلة والعيون الخضراء الأخاذة التي أخبرته أنها لا تجد حرجا في مرافقه إياها إلي وطنها ألمانيا خاصة و أن ولدها يحبها ولا يرفض لها طلبا فيساعده على السفر

سئم أهله من هوسه وانفعالاته الكاذبة وماعاد أحدهم يهتم له حتى إن أخته مضمد المكان ما من جسده أو أن عينيه احمرتا نتيجة المخدرات أو أن خطواته متضاربة لتماديه في احتساء الكحول يفعل مايريد المهم أن يحضر المال لتسديد الديون

وجهة عمته لأن يفتح رصيد بالبنك ويحفظ أمواله بعيدا عن والده ليؤسس مستقبله فعل ذلك لكنه ليس تحقيقا لما وجهته نحوه عمته بل ليجيد نفسه هنا في حلم جديد ورؤية جديدة لأنه مل حياته بوطنه الوطن الذي لم يصغ لآلامه

سكت مراد لكن الجميع أرادوا تكملة أو تفصيلا لحكايته فهم لم يعاندوا أن تمر حياة عنهم إلا وقد ذرفوا دموعا أو نظروا للوراء وتمنوا العودة لكن مراد لم ينبت بيت شفة بل لف نفسه داخل قشيبة وسكن في مكان دون حراك

نظرت الموجة لصقر وقلت وأنت ما تعليقك ؟

صقر أنا الأخر كنت أنتظر سيل دموعهم لكني وصدقاكما قال مراد حياة عادية وبسيطة هذا ما يحدث مع شبابنا لذلك كل ما طرأ لهم طارئ وسمعوا عن وباء يكتسح غيرهم لينفكون يحاولون أن يكون لهم وقع في ذلك .

مراد رغم أنه مستقيم في أخلاقه وعلاقاته مع الناس إلى أن اضطرابه الداخلي وعدم قدرته على تحديد ذاته جعله يبنى له موضعا فكل حدث يصب فحوت المجتمع من قال لربما وهو الأخر نفس له وهو يتوهم أنه يحكى حدث ما كان يصغى إليه

ماعساي أقول " حسيبي الله ونعم الوكيل " من نلوم ومن علينا أن نبكي وكلنا نعرف ما يبغي أن نعرف لكننا نمضي دائما نحو الهلاك.

الموجة:أما تبقى من شباب ذلك القارب فكلهم في مثل عمر مراد تقريبا ربما لم يجدوا الوقت ليحكوا حكايتهم واكتفوا بالاستماع فقط أو أنهم لايملكون زادا من الأحداث ليأنسوا به في غربتهم لأن سنواتهم ذهبت

سدى بعد أن نكلوا بأنفسهم وحطموا كل جسور التواصل بينهم وبين مجتمعهم فبرغم أنهم ضحية تفاهاتهم إلا أنهم يردون كامل الحق في الأهل أو عدم توفير فرص العمل بوطنهم فيذهبون هناك إلى الضفة الأخرى التي لم تكن يوما أوطان يفخر بها إلا أنهم وبعزم ثلة محدودة من الشباب تحولت إلى مدن رائعة لأن هؤلاء الشباب أراد الانطلاق من لا شيئ ليحولوه ممكنا للحياة وحين وصلوا للقمة كان دور أولاد هذا الوطن باهتين مخذولين ينظرون إنجازاتهم بتعمق ليرسل لهم شظايا أنوار تلك المدن ويرضون بها فخرا.

لأنهم وببساطة تقاعسوا ونسوا أن تفاحة أدم التي برقبته تكونت حين تناول تفاحة وابتلعها دون أن تقضم و تهضم جيدا ذلك وإن دل فإنه يدل على أن كل شيئ نحصل عليه في الحياة هكذا دون عناء سيترك حتما أثار سيئة ,فلو أن سيدنا أدم علم في الحياة علم بمراحل الأكل حينها لما بقيت معلم التفاحة ترى عند كل بني أدم من الرجال.

لذا ما زاد غضبي وأشعل نار غدري هوأن من الشباب من بقي مصدوما لما أقدم عليه.وهناك من حاول مرارا القفز ليعود إلى أهله , لكن لامناص من ذلك.فماعدت أرى إلا تلك الدموع تنحدر على الخدود والكلمات القاتلة التي تخرج من أفواههم , يرجون العودة, ساخطين على أنفسهم لما أقدموا عليه من الجنون .... وكانت الكارثة بعد غضب مني لا أدري كم دام لكن حين استكنت لم أجد شيئا على سطح البحرفقط هو الهدوء الذى يلي العاصفة

وداعا ياصقر... لك الآن الأمانة فاحملها وأصلها إلى أين ينبغي أن تصل

وداعا

أمي , أبي, إخوتي , أنا كريم ابنكم البار في أعماقه, العاق في قراراته أكتب لكم وأنا في أخر اللحظات التي أخلصكم فيها من عبئ مراسيم جنازتي وأنا ألفظ أنفاسي الأخيرة عمق البحر , وكي لا أحمل الأرض كذلك عبئ جسد عاق لمن حمله تسعة ورباه سبعا وعشرين سنة . سامحوا ولدكم الذي لم يعي سوء تصرفه إلا وهو يجهز ليكون وليمة للحوت ...وهكذا ربما ستتذكرون ابنكم مع كل علبة للحوت المعلب تمدون أيديكم لتناولها

الموجة : أنا آسفة ياصقر , لكن على الأحداث أن تصل إلى المجتمع وإلى شباب المستقبل , لأنه أمر رهيب جدا وهم يصارعون ابتلاعي لهم ليمضوا إلى أعماق البحر وهم يحرضون كل خلية من أجسادهم لتساعدهم على الطواف فوق , لكن تلك المقاومة توسع خلاياهم ويستمر الماء المالح في اختراق خلاياهم رغم أنهم لطالما أحكموا قطع أنفاسهم لأنها في نظرهم الطريقة الوحيدة لمنع ابتلاعهم الماء , رويدا رويدا تثقل أجسادهم فتخير قواهم ولم يعد هناك مناص من الانسياب إلى أعماق البحر وحين يأخذ أرواحهم يطوفون فوق أو يحملهم على ظهري لأرمي بهم إلى الشاطئ .

obeikan.com

لأنهم وببساطة تقاعسوا ونسوا
أن تفاحة أدم التي برقبته تكونت
حين تناول تفاحة وابتلعها دون
أن تلهم و تهضم جيدا ذلك وإن
دل فإنه يدل على أن كل شيء
نحصل عليه في الحياة هكذا دون
عناء سيترك حتما أثار سيئة،
فلو أن سيدنا أدم علم في الحياة
علم بمراحل الأكل حينها لما
بقيت معلم التفاحة ترى عند
كل بني أدم من الرجال.